سوريتنا

«عندما يقرر العبد أن لا يبقى عبدا فإن قيوده تسقط»
غاندي

صفحتنا على فيس بوك:
www.facebook.com/souriatna
souriatna@gmail.com souriatna.wordpress.com

سوريتنا | السنة الأولى | العدد (33) | 6 / 5 /2012 أسبوعية تصدر عن شباب سوري حر

أهل حماه يعيشون بين خوف الاعتقال ورعب القتل رغم وجود المراقبين

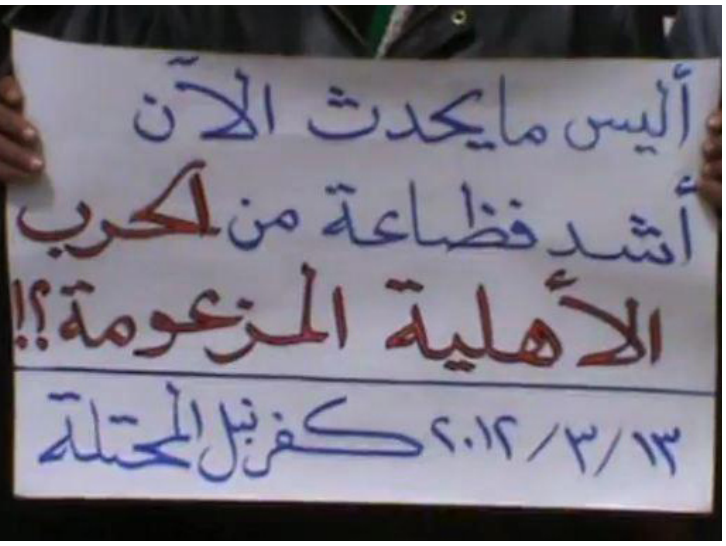

بدا هذا الشارع في مدينة حماه والذي ظهرت عليه آثار القصف الذي استمر لأشهر مهجورا إلى أن خرجت مجموعة صغيرة من الأطفال من منازلهم في حذر لتحية مراقبي الأمم المتحدة الذين يزورون المدينة.

وكتب على أحد جدران حي الأربعين في شمال حماه عبارة «يسقط خائن سوريا» والحي معقل لمعارضي الرئيس بشار الأسد وتعرض لقصف عنيف على يد قواته التي تحاول سحق الانتفاضة التي دخلت الآن شهرها الرابع عشر.

وبدأت الحياة تدب تدريجيا في الشارع الخالي مع انضمام نساء يرتدين عباءات سوداء طويلة إلى الأطفال قبل أن يظهر في نهاية المطاف بضعة رجال انضموا للحشد الصغير شجعهم على ذلك وجود الأمم المتحدة في الضاحية التي باتت منطقة أشباح.

وفي مدينة ما زالت ذكرى قمع والد الأسد الراحل لانتفاضة إسلامية مسلحة قبل نحو 30 عاما حاضرة بالأذهان حيث قتل عدة آلاف قال كل من تحدثوا لـ«رويترز» في حي الأربعين إنهم يعيشون في رعب من تلك الأجهزة الأمنية. وبعد ثلاثة عقود من تلك الأحداث يروي الكثيرون قصصا جديدة من المعاناة.

وقالت طفلة في نحو الثامنة من العمر طلبت عدم ذكر اسمها إن الجيش قتل عشرة من أقاربها قبل بضعة أيام. وقالت إن الجنود أوقفوهم صفا أمام جدار وأطلقوا عليهم النار. وأضافت «الآن الجيش يخيفني». وقالت صديقة لها تقف بجوارها «نسمع كل ليلة إطلاق نار وقصفا ونحن مرعوبون». حسب «رويترز».

وكان زقاق قريب محفورا ومسدودا فيما قال السكان إنه إجراء متعمد من جانب قوات الأمن لمنع المرور عبره.

وخرجت نساء من منازل قريبة يحملن ملابس في حقائب ويمسكن أطفالهن وقلن إنهن يردن المغادرة قبل زيادة القصف ومداهمات قوات الأمن في يومي الخميس والجمعة.

وقالت امرأة إنها أخذت معها ابنتيها وابنا عمره ثماني سنوات وتركت آخر عمره 15 عاما خشية أن يوقفه الجنود عند نقطة تفتيش لأنه يبدو كبيرا بما يكفي ليشتبهوا في كونه من مقاتلي المعارضة. وقالت «لذا تركته هنا مع أمي».

وتحدثت أخريات عن فقد أزواج وأبناء. وقالت إحداهن «لا نعلم إن كانوا أحياء أم أمواتا. كل من لها صبي هنا أرسلته بالفعل إلى خارج المدينة».

وقال رجل يدعى عبد اللّه إن قوات الأمن تأمر الناس كل يومين بجمع الجثث التي يلقى بها خارج الضاحية. وأضاف «بعض الجثث التي نجمعها تكون بدأت في التحلل».

وعلى الجانب الآخر من الشارع الواسع وقفت مجموعة أخرى من الناس تراقب قائلين إنهم لن يعبروا خوفا من نيران القناصة.

وقال مصطفى (12 عاما) إن سكان المدينة يسمعون إطلاقا متواصلا للنار ويعيشون في خوف. وقال «لا توجد مدارس ونحن خائفون من الجيش.. اعتقلوا شقيقيّ وأقاربي ولا نعلم لهم مكانا».

وكشف رجل آخر يدعى حمزة عن فخذه للمراقبين ليريهم جرحا يقول إنه نتج عن إصابته برصاصة خلال مظاهرة سلمية قبل بضعة أيام.

وقال «نعاني من هذا النظام منذ الثمانينات. عانى أهل حماه الكثير ونحن.. كل السوريين.. نعلم ما يمكن أن يفعله هذا النظام. إنه مستعد لقتل كل السوريين للبقاء في السلطة». ورغم أنه تم تركيب نوافذ جديدة لكن أجزاء بحوائط المدرسة ما زال يبدو عليه أثر العنف. وكانت بكثير من المباني المحيطة فتحات كبيرة نتيجة القصف أو الإصابة بقذائف صاروخية كما انتشرت ثقوب الرصاص على جدران كثير من المنازل. ووضعت أكياس الرمل حول حفر على الطريق.

لكن ليست كل مناطق حماه تبدو كساحات حرب. فالي الجنوب بوسط المدينة كانت الشوارع مزدحمة بالناس وحركة المرور عادية والمتاجر مفتوحة كما أشاعت اللافتات الانتخابية قبل الانتخابات البرلمانية المقررة يوم الاثنين أجواء بأن الأوضاع طبيعية.

وفي ساحة العاصي التي كانت موقعا للاحتجاجات ضد الأسد في الصيف الماضي شارك فيها عشرات الآلاف جرت تغطية عبارات مناهضة للرئيس السوري بالطلاء ورفعت صورة كبيرة له في وسط الساحة.

آثار سوريا.. آخر ضحايا المواجهات

تنعى سوريا خلال الفترة الماضية -إضافة إلى قوافل الضحايا الذين يتساقطون يوميا- تراثها المادي الذي يئن تحت وطأة القصف المتعمد، وحملات النهب المستمرة التي تهدد بدفن جزء هام من تاريخ الإنسانية.

ودق تقرير أعدته مجموعة من علماء الآثار السوريين والأجانب ناقوس الخطر على وضعية المواقع الأثرية السورية، وحذر التقرير -الذي سلم لعدد من المنظمات الدولية- من استهداف لبعض المواقع وعمليات نهب للآثار يشتبه في أن يكون بعضها قد تم بعلم من السلطات.

فقلعة الفرسان التي حاصرها صلاح الدين الأيوبي منذ ما يقرب من 900 سنة -تعتبر من بين أفضل القلاع الصليبية المحفوظة في العالم- قام مسلحون باقتحامها وطرد الموظفين منها وبدؤوا بتنفيذ حفريات فيها، كما هاجموا أحد المتاحف في حماة وسرقوا تمثالا نادرا من الذهب يعود إلى الحقبة الآرامية

و أظهرت لقطات بثها ناشطون على شبكة الإنترنت تسبب قذائف أطلقتها القوات النظامية عند ملاحقتها المعارضين في حماة بإحداث ثقب بأحد جدران قلعة المضيق التي يعود إنشاؤها للقرن الـ12 الميلادي.

وعلى أنقاض المدينة الأثرية في تدمر والتي تعود لألفي سنة، طوقت القوات الحكومية البلدة الأثرية وأقامت قاعدة في القلعة الموجودة على تلة تطل على المنطقة المحيطة.

وقبل عدة أسابيع، قال نشطاء في محافظة إدلب إن القوات اشتبكت مع المعارضين داخل وحول أنقاض إبلا، وهي مدينة من العصر البرونزي اكتشف علماء الآثار فيها سنة 1960 كنزا هائلا من الجداول المسمارية التي أحدثت ثورة في فهمهم للشرق الأوسط القديم.

وأما السوق القديمة في حمص -الذي يشتهر بسقفه المقوس- حيث كانت تباع المنسوجات الملونة والسجاد والعطور والملابس فقد تضرر بشكل كبير. وعلا السواد جدرانه التي اخترقتها شظايا القذائف المتناثرة في أرجائه.

ولم تسلم المساجد من الاعتداءات وخاصة في درعا مهد الثورة السورية وحمص التي تعد معقل المعارضة، فقد استهدفت القوات الحكومية في بدايات الثورة المسجد العمري في درعا الذي يعود بناؤه للفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب. وقال نشطاء إن القوات الحكومية تعمدت نقل أسلحة إلى داخل المسجد لإثبات أن العصابات المسلحة كانت متحصنة بداخله.

وأبرزت اللقطات التي بثها الناشطون قصفا للمآذن وتضرر واجهات العديد من المساجد والكنائس ومن بينها كنيسة أم الزنار التي شيدت سنة 59 ميلادية.

كل هذه الاعتداءات دفعت الناشط طارق بدرخان من حمص للقول إن "القوات الحكومية ليس لديها أي احترام للتراث الثقافي للبلاد".

أكد علماء الآثار -الذين قاموا برصد التهديدات التي تتعرض لها المواقع عبر الشهود الميدانيين- أن القوات الحكومية أصابت في مرات عديدة مواقع أثرية بإصابات مباشرة، وشاركت أو غضت الطرف عن عمليات النهب التي تعرضت لها بعض المواقع.

وقال عالم الآثار الإسباني رودريغو مارتن، الذي قاد العديد من بعثات التنقيب في سوريا "لدينا الحقائق التي تبين أن الحكومة تعمل مباشرة ضد التراث التاريخي للبلاد".

ويعتبر مراقبون أن ما تشهده سوريا يشكل مفترق طرق لدولة تتوفر على كنوز يعود تاريخها لآلاف السنين، وعاصمة تعد هي الأقدم في العالم.

ويؤكد العلماء أن المواقع غير المكتشفة أكثر بكثير مما تم اكتشافه إلى غاية الآن، وأوضح عالم الآثار الإسباني أن ما اكتشف من مواقع يوفر معلومات كبيرة جدا غير أن ما لم يتم اكتشافه بعد يخفي معلومات أكبر، واعتبر أن كل حادثة تدمير تستهدف موقعا أثريا هي بمثابة حرق صفحة من صفحات كتاب تاريخ البشرية.

سرقات ممنهجة يقوم بها شبيحة النظام في مناطق النزوح

نقل نشطاء ميدانين من مدينة حمص أن كل المناطق التي سيطر عليها الجيش وشبيحة النظام السوري تتعرض لعمليات سلب ونهب ممنهجة بعد أن تم تهجير سكانها إما بقصفها أو تهديدهم بالتصفية الجسدية حال اجتياح الجيش لها.

وأكد بعض السكان ما نقله النشطاء لـ "زمان الوصل" أن عمليات السرقة تتم بشكل "منظم وممنهج" حيث يعمد شبيحة النظام إلى إحضار فتيات وشبان مهمتهم فرز محتويات المنازل من ثياب وأدوات منزلية ومؤن غذائية.

وقال احد السكان: تدخل السيارات الشاحنة يوميا بحماية رجال الأمن وشبيحة النظام لمناطق كرم الزيتون والعدوية وباب السباع وبقية المناطق التي يقيم فيها الجيش ... يقوم شبان وشابات بفرز كل محتويات البيوت ووضعها كل على حدى لنقلها لاحقا.

وتابع: حتى "الصوبيات وآظانات الحمام و صنابير المياه .... أجهزة الطاقة الشمسية" لم تسلم منهم يقومون بفك كل شيء بغية سرقته وبيعه في بعض المناطق التي تعتبر مؤيدة تماما للنظام ... أجهزة كمبيوتر عادية ومحمولة غسالات، برادات، سجاد.. كل تلك المسروقات تنقل بهيئة بضائع بعد فرزها لتباع في شوارعهم التي تحولت لأسواق تشبه ما يسمى بـ "سوق الحرامية".

روسيا وإيران تساعدان على استمرار تدفق الوقود لسوريا الذي تحتاجه الدبابات

تقوم روسيا وإيران بمساعدة سوريا على استيراد الوقود الذي تحتاجه للمركبات الثقيلة ومنها الدبابات، مما يسمح لدمشق بتفادي التأثير الكامل للعقوبات الغربية المشددة، التي فرضت عليها بسبب قمعها العنيف للمعارضة.

وتسلمت سوريا شحنات روسية منتظمة من زيت الغاز والديزل خلال الشتاء. وبالرغم من دعم موسكو الدبلوماسي للأصوات المطالبة بوقف هجمات النظام وسحب قواته، أرسلت روسيا شحنة أخرى هذا الشهر.

وتبدو هذه الشحنات قانونية لأن روسيا وإيران لم توقعا على العقوبات الغربية، التي تحظر هذه التجارة. وعرقلت موسكو استصدار عقوبات من مجلس الأمن الدولي، كانت ستطبق على كل الدول، لكن تتبع الوثائق الخاصة، بهذه الشحنات يظهر مدى صعوبة تطبيق العقوبات الغربية، التحى تهدف لتقييد القدرات العسكرية السورية، مادامت موسكو تحول دون أخذ قرار في الأمم المتحدة.

ويمكن أن يباع الوقود الذي ترسله روسيا، والذي يعرف بزيت الغاز كوقود الديزل، الذي تستخدمه دبابات الجيش السوري، والمركبات التجارية الثقيلة أو كوقود للتدفئة.

وتمتلك سوريا المنتجة للنفط مصفاتين للتكرير لكنها تحتاج لاستيراد كميات كبيرة من زيت الغاز لتلبية الطلب المحلى لغرض التدفئة والنقل.

وتحظر العقوبات الغربية على الشركات الأوروبية والأمريكية شراء النفط السوري أو التعامل مع شركات سورية لها نشاط في استيراد الخام أو المنتجات المكررة.

أوجاع وطن

الزنزانة 18 تنقل إلى المستشفى

■ هيام جميل

يقرع بابي للذهاب إلى التحقيق مرة أخرى، الألم الذي لم يبارح ظهري منذ أيام نزل إلى قدمي اليمنى ومنعني من المشي، فصرت أجرّ رجلي اليمنى لتلحق بحركة جسدي، أدخل غرفة المحقق فيدهش لما آلت إليه حالتي الصحية من تدهور سريع بعد أسبوعين فقط على اعتقالي.

يسألني عن بضعة تفاصيل حول اعترافاتي، أجيبه بسرعة، يكاد الألم يجعلني أصرخ، الجلوس ليس مطلقا وضعية مريحة لآلامي، يدون بضعة كلمات، ويأمر العنصر بأخذي من هذه الغرفة النظيفة المكيّفة إلى زنزانتي المتمة المظلمة.

يستوقفني بعد بضع خطوات لي:

- ستذهبين غدا إلى المستشفى، لن ننتظر أكثر، يكفي أن رفاقك يقولون أنكم مهددون بالموت تحت التعذيب!

يبتسم ساخرا..

إذا فرفاقي يكتبون على صفحات الفيس بوك أنني ألاقي التعذيب، أجل، إنهم يعرفون بدقة خطورة وضعي هنا، كفتاة، وكصحفية، وكبنية ضعيفة، ولكن هل يعلمون صلابتي؟

ترى من أنشأ صفحة الحرية خاصتي على الفيس بوك؟ أعتقد أنه هو، ربما وصله خبر اعتقالي بعد أيام، لا أحد كان يعلم بتواجدي هناك، ذهبت لأشرب فنجان قهوة مع رفاقي فاعتقلت، لكنني شربت فنجان القهوة على كل حال هنا، في الفرع، لا بل إنني كنت أشربه في كل مرة أذهب فيها للتحقيق، وأبتسم!

هنا يصبح للقهوة، أي نوع قهوة، طعم الرفاهية الحقيقية، بل يغدو للهواء، الهواء العادي ذاته الذي نتنفسه خارجا في كل لحظة، رائحة الحرية!

في اليوم التالي، وبينما كان الوقت يقارب الظهيرة، أتى العنصر المسؤول عن توزيع الدواء على المعتقلين باصطحابي خارج زنزانتي، أنتظر في البهو بين الديوان وغرفة التحقيق، ثلاثة عناصر يحيطون بي، ورابعهم يضع الأصفاد في يدي، يصعدون الدرج فيما العنصر الأصغر سنا، والذي يبلغ حجمه ضعفي حجمي يقول لي "حسين" عابسا: تعي!

أصعد الدرج مترنحة، قدمي تؤلمني أكثر مع كل درجة أصعدها، ويداي مقيدتان دون أن أستطيع الاستعانة بهما أثناء صعودي هذا الدرج اللعين!

وما إن أخرج إلى الباب الخارجي ويغمرني ضوء الشمس حتى يصرخ بي أحد العناصر: راسك لتحت.. لتحت!

أحشر في المقعد الخلفي بين عنصرين، وعنصران آخران في الأمام، وتنطلق السيارة وأنا أحاول فقط النظر خارجا..

ياااااااااه، يا شام شو اشتقتلك، يا حبيبتي انتي، ساحة الميسات، السبع بحرات، العدوي، اشتقت لكل سنتي..

نصل إلى المستشفى، المستشفى الأحدث في القطر: والله مدعومة!

ومثل حراس، شخصيين جدا، يلازمونني، يدخلونني الإسعاف، وأجد نفسي في عيادة الجراحة العصبية أمام الممرضة، وهم يطلبون الطبيب لي!

أنتشي برائحة الكحول، أكاد أنسى قدمي المعطوبة وأركض في حدائق المستشفى، وتعيدني برودة الأصفاد وثقلها إلى حقيقة الاعتقال!

أنقّل عيني بين المراجعين، أبحث عن وجوه رفاقي ومحامي وأهلي، وجوه غريبة ينظرون بخوف إلى يديّ، يديّ فقط، دون أن يلتفت أحد إلى ألم عينيّ!

يصعق الممرضة منظر الأصفاد في يدي، تقول لهم: أربعتكون جايين منشانها؟

- أي ما تشوفيها ضعيفة هيك.. هي خطيرة كتير!

وخطيرة كمان، مش بس مدعومة، أحدّث نفسي..

يستنكر الطبيب وقوفي وجلوسهم، يجلسونني على كرسي، أشرح له آلامي الممتدة من أسفل ظهري إلى ركبتي، ألم مستمر، وأمرّ على طبيب آخر، وغرف التصوير البسيط والطبقي المحوري، دون أن يسجل أحد اسمي، ويبقى اسمي الرقم 18!

في السجن تنسى اسمك حقا، تتألم وحدك، وعندما تنقل إلى المستشفى تجيب الطبيب الذي يجهل من تكون عن أسئلته المقتضبة، دون أن تسمح للدمعة بأن تتدحرج، من قلبك!

يكتب الطبيب تقريرا طبيا مفصلا، يطلب إلى إدارة الفرع من بين ما يطلبه إسفنجا بضغط عال لنومي!

- عم يمزح مو؟

يعطيني إبرة مسكن ألم، ويتم اصطحابي على الفور إلى الفرع.

وقبل أن نغادر عيادة الطبيب يقترب "حسين" مني، وينحني قليلا ليتمكن من إعادة الأصفاد إلى يدي النحيلتين ويهمس قائلا:

- أنا آسف.. بس هدول بريستيج!

عن فيس بوك

زيارة نجاد للجزر الإماراتية

نيران فوق الخليج..على طريق اللاعودة..

■ ياسر مرزوق

نحن اليوم نستعيد أساطير قديمة تحكيها قصص ألف ليلة وليلة، وتزعم أنها جرت في يوم من الأيام، في سالف العصر والأوان، على سواحل الخليج العربي، وعلى عهدة تلك الأساطير فإن أمواج البحر تلقي على شطآنه بقماقم تغري بشيء في داخلها، ثم تكون المفاجأة أن كل قمقم منها مختوم على مارد من نار، وما إن ينكسر الختم عن القمقم حتى يندفع خارجا منه عفريت من الجن يسد فضاء الأفق هولا وشرا مستطيراً، لكنه على عهدة الأساطير أيضاً، فإن المردة يتحولون إلى خير وبركة وقصور من ذهب، إذا صادفوا من يعرف فضلة من علم النبي سليمان الذي دانت وخضعت له مردة الجن.

القمقم الفارسي قد ينكسر ختمه في أي لحظة، فإن لم تعرف سر طلسمه، وتطويعه، انطلق المارد من محبسه ليتحول الخليج العربي إلى سيول من الحمم والدماء، فكسرى هو كسرى، وإن غطى تاج الطاووس بعمة سوداء.

فاجأ الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد يوم الأربعاء الماضي المراقبين بزيارته لجزيرة أبو موسى المحتلة من قبل بلاده منذ عام 1971. ووصف الإعلام الإيراني زيارة أرفع مسؤول إيراني للجزيرة منذ احتلالها في زمن الشاه محمد رضا بهلوي، بأنها أتت "ضمن جولة للرئيس في ساحل إيران المطل على الخليج". وزاد حسين أمير عبد الهيان -مساعد وزير الخارجية- لاحقا برفض الاحتجاجات الإماراتية على الزيارة، ووصفها بأنها "شأن داخلي إيراني". وكان من الطبيعي لهذه الخطوة غير المسبوقة أن تثير حفيظة الإمارات. فأدانتها واعتبرها وزير خارجيتها عبد الله بن زايد آل نهيان انتهاكا صارخا لسيادة بلاده على أراضيها. وألحقت الإمارات التصريح باحتجاج دبلوماسي تمثل باستدعاء الإمارات سفيرها في طهران للتشاور. وآزر الأمين العام لمجلس التعاون الخليجي عبد اللطيف الزياني الموقف الإماراتي معتبرا أن الزيارة "استفزازية" وتمثل انتهاكا لسيادة الإمارات.

يشار إلى أن إيران استحوذت على جزء من جزيرة أبو موسى وفق تفاهم مع الشارقة لتقاسم السيادة رعته بريطانيا، لكنها بعد قيام الجمهورية الإسلامية ابتلعت الجزيرة كلها وأقامت فيها منشآت عسكرية وخيرت سكانها العرب بين الرحيل والجنسية الإيرانية. وفي الفترة ذاتها اجتاحت جزيرتي طنب الكبرى والصغرى التابعيتين لرأس الخيمة، وانتزعتهما عنوة منها.

وقد وقعت هذه التطورات في وقت حرج قبيل الانسحاب البريطاني من الخليج في 1 كانون الأول 1971 وحصول الإمارات السبع على استقلالها، وقيام اتحاد فدرالي في اليوم التالي بين ست منها. تلاه التحاق رأس الخيمة بالاتحاد بعد شهرين. فمع بداية عام 1968م اتفق حكام البحرين وقطر والإمارات المتصالحة على قيام اتحاد فيدرالي بينهم، بعد إنهاء بريطانيا لحمايتها لإمارات الخليج العربي والتي استمرت 150 عاماً، وفي عام 1969 أرسلت الأمم المتحدة بعثة لتقصي الحقائق للنظر في مزاعم إيران في البحرين، وحصلت البحرين على استقلالها عام 1971 ثم تبعتها قطر بعد شهر واحد، ثم الإمارات العربية المتحدة. فقامت إيران الشاه باحتلال الجزر الإماراتية بعد فشلها في ضم البحرين

في عام 1975 أعلن الشاه " إن قوتنا في الخليج الفارسي الآن، تفوق قوة بريطانيا التي كانت هنا في أي وقت، عشر مرات، بل عشرين مرة"، لم يكن يخطر في بال الشاه أن الثورة ستدك عرش الطاووس بعد سنوات قليلة، إلا أن الثورة التي أتت تحت عناوين الإسلامية، ونصرة المظلوم، وتصدير الثورة، اكتفت بالشعارات ولم تنظر إلى الجزر الإماراتية وإقليم الأحواز العربي، كأراض محتلة بل اعتبرت نفسها وريثة الشاه حتى في جرائمه، و في إحدى لحظات الحماسة، قال الخميني " إن بإمكانه أن يحول الخليج إلى كرة من النيران، إن جرؤ أحد على المساس بنا " وسواء وضع هذا التهديد موضع التنفيذ أم لا، فمما لاشك فيه أن أصوات مدفعية الخميني لم تترك أصداء منذرة بالسوء في مكان ما أكثر مما تركت في الخليج، ولا يرجع ذلك إلى أن إحدى ضفتي الخليج إيرانية، بل يرجع بشكل أكبر إلى كونها منطقة تتكون من خليج متفجر عناصره النفط والموقع الجغرافي والتطورات السياسية العالمية.

لم تلتقط دول الخليج أنفاسها حتى اندلعت الحرب العراقية الإيرانية، تلاها غزو الكويت، ثم الاحتلال الأمريكي للعراق أضحى على أثرها الخليج العربي، خليجا للعواصف، ومع وصول الرئيس " محمد خاتمي " لسدة الحكم في طهران، استبشر العالم خيراً بوريث الحضارة الإسلامية الفارسية، ليسير بالثورة الإيرانية إلى بر الأمان، بر احترام الآخر والتخلي عن أطماع الإمبراطورية الفارسية، إلا أن حكم خاتمي لم يطل و فلم يرضى الملالي عن مفكر يحكم إيران الثورة، ليأتي "أحمدي النجاد " ويعيد عقارب الساعة إلى الوراء، إلى زمن "كسرى" والاستيلاء على الخليج العربي بأسره. ويقوم بزيارة يقصد من خلالها "تذكير العالم بأن في يده بطاقات يمكن أن يعكر فيها صفو الأمن في الإقليم، وأنه قد لا يلتزم بتعهدات سبق أن وقعت عليها الدولة الإيرانية. فهنالك سيادة مشتركة على أبو موسى لكن نجاد يقول من خلال الزيارة إنه لا يقيم لها أي اعتبار". مجدداً مزاعم إيران بملكية الجزر المتنازع عليها.

هذا فقد وجهت الجمهورية الإسلامية رسالة إلى مجلس الأمن الدولي، اعتبرت فيها أن زيارة الرئيس محمود أحمدي نجاد، إلى جزيرة "أبو موسى"، أمراً يختص بالسيادة الإيرانية. وقال السفير الإيراني لدى الأمم المتحدة، إسحاق الحبيب، في رسالته إلى سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية، سوزان رايس، التي تتولى رئاسة مجلس الأمن في دورته الحالية، إن جزر "أبو موسى"، و"طنب الكبرى"، و"طنب الصغرى"، هي "أجزاء مكملة داخلية للأراضي الإيرانية". وأشار السفير الإيراني إلى أنه قام بتوجيه رسالته إلى مجلس الأمن، بناءً على توجيهات تلقاها من حكومة بلاده، رداً على رسالتين سابقتين وجهتهما كل من المملكة العربية السعودية، في 13 نيسان الجاري، والإمارات في 17 من نفس الشهر، حول زيارة نجاد إلى جزيرة "أبو موسى"، والتي أثارت توتراً حاداً في منطقة الخليج.

وأكد الحبيب، في رسالته إلى رايس، والتي تحمل تاريخ 19 نيسان 2012، أن "حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية ترفض بشكل كامل، أية مزاعم مخالفة لذلك، بما فيها تلك المزاعم التي لا أساس لها، والتي وردت في الخطابات المشار إليها سابقاً". كما أكدت الرسالة على تسمية الممر المائي الذي يفصل الجمهورية الإيرانية عن شبه الجزيرة، باسم "الخليج الفارسي"، واعتبرت أنها "تسمية تاريخية معترف بها من قبل الأمم المتحدة نفسها"، وشددت على رفضها إطلاق أي أسماء أخرى عليه، حيث تطلق عليه بعض الدول اسم "الخليج العربي"

تأتي هذه الرسالة بعد أيام على تعليق للناطق باسم الخارجية الإيرانية، رامين مهمان برست، على بيان صدر عن مجلس التعاون لدول الخليج العربي، في أعقاب اجتماع عقد مؤخراً بالعاصمة القطرية الدوحة، قال فيه إن "انتساب الجزر الثلاث للتراب الإيراني أمر ثابت، وغير مطروح للحوار. "كما اعتبر المسؤول الإيراني، بحسب ما نقلت وكالة "فارس" للأنباء، أن ما صدر عن اجتماع الدوحة "يُعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للجمهورية الإسلامية"، وأفاد بأن "العهد الذي يقوم على إصدار المواقف غير البناءة، التي جاءت في بيان مجلس التعاون، حول الجزر الثلاث، قد ولى. " ولوحت إيران، في وقت سابق الخميس، بقدراتها العسكرية في حال فشل الدبلوماسية في حل الخلاف القائم مع دولة الإمارات حول الجزر المتنازع عليها، والذي عاد للواجهة بعد زيارة نجاد لجزيرة "أبو موسى"، وهي الزيارة التي وصفتها حكومة أبو ظبي بأنها عمل "استفزازي. " وحذرت الخارجية الإماراتية من أن استمرار احتلال إيران لثلاث جزر خليجية "قد يمس الأمن والسلام الدوليين"، باعتبار أن هذه الجزر تقع في منطقة حيوية، يمر من خلالها نحو 40 في المائة من موارد مصادر الطاقة في العالم.

إن لتوقيت زيارة الرئيس الإيراني أسباب واضحة، ولعل أهمها تصاعد اللهجة الدولية تجاه البرنامج النووي

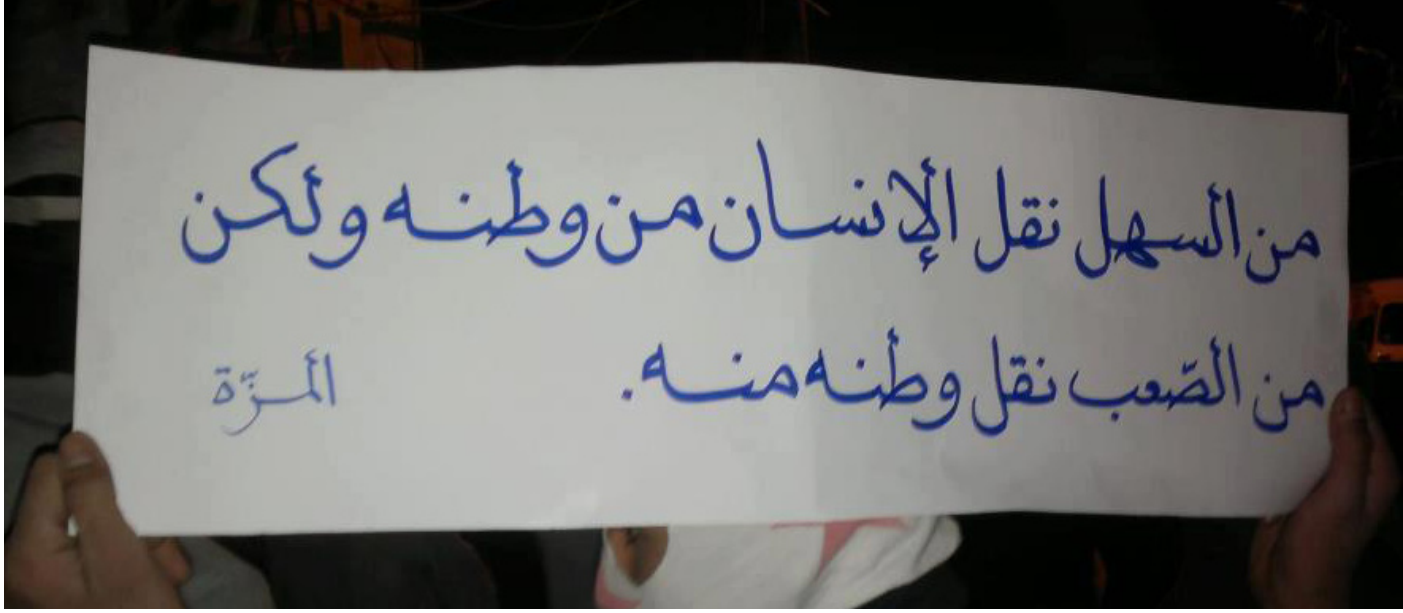

الإيراني فأتت الزيارة لترفع سقف المفاوضات ولكسب الوقت في لعبة يتقنها النظام الإيراني، ففي السياسة الإيرانية لا أخلاق ولا قواعد دينية مرعية، فالخميني هو القائل " سنتحالف مع الشيطان لإنجاح الثورة " وما فضيحة "ووترغيت " إلا شاهد على طبيعة السياسة في إيران.

أما الهدف الثاني من الزيارة فهو إشغال دول الخليج عما يحدث في سوريا لأنه لو سقط النظام السوري فسوف تنكسر شوكة إيران و يضعف نفوذها المتزايد في المنطقة. وهي تسعى جاهدة لخلط أوراق القضية السورية بأي قضية أخرى.. وقد استخدمت كامل أوراقها في الخليج ولم يبق معها إلا ورقة الجزر المحتلة. فهي استخدمت ورقة الحوثيين و استخدمت ورقة الطائفية في القطيف والكويت. ولم يبقى في يد إيران إلا ورقة واحدة وهي الجزر الإماراتية لإشغال دول الخليج والعالم بهذه الورقة عن الوضع المتأزم في سوريا..

الجزر الإماراتية وعشرينية إيران

يصف الخبير في الشؤون الإيرانية "الدكتور مدحت حماد" ما تقوم به إيران في منطقة الخليج بأنه يهدد الأمن والاستقرار في منطقة مضطربة، ولا تحتمل المزيد من التوتر، مؤكداً أن الاحتلال الإيراني للجزر الإماراتية يجب أن ينتهي تماشياً مع الاتجاه العالمي لإنهاء " بؤر" الاستعمار وقال: أستطيع القول أن زيارة الرئيس الإيراني أحمدي نجاد لجزيرة أبو موسى أكبر الجزر الإماراتية المحتلة منذ عام 1971، تتفق تماما مع النسق العام للسياسة الإيرانية في منطقة الخليج واعتبار الجزر الثلاث أراضي إيرانية، وأن ما تقوم هو ممارسة أعمال سيادة على جزء من أراضيها، ويتوافق أيضاً مع كل ما كانت ترفضه طهران على مدار أكثر من أربعة عقود من مقترحات إماراتية لحل الأزمة سلمياً وإنهاء الاحتلال الإيراني للجزر سواء بالمفاوضات أو التحكيم، مشيراً إلى أن ما تقوم به إيران الآن عبر محاورها المختلفة في المنطقة هو تطبيق حرفي لخطة إيرانية وضعت عام 2003 وتسمى بالخطة العشرينية لتنمية إيران والتي حددت سياسات إيران حتى عام 2024، وأضاف: هذه الخطة وضعها مجمع تشخيص مصلحة النظام برئاسة هاشمي رافسنجاني وصدق عليها المرشد العام علي خامنئي، وتهدف الخطة إلى تحقيق عدد من الأهداف الإستراتيجية لإيران على المستويين الداخلي والخارجي فعلى المستوى الداخلي حددت الخطة الأهداف التي يجب الوصول لها خلال المدى الزمني المحدد، منها الوصول بمتوسط دخل الفرد في إيران إلى أعلى مستوى دخل فرد ممكن بين دول المنطقة، وأن تمتلك إيران التكنولوجيا النووية من الألف إلى الياء و أن تتمكن إيران من تصدير هذه التكنولوجيا إلى بقية دول العالم وأن حدوث ذلك سوف يجعل إيران شريكاً أساسياً للدول الكبرى أعضاء النادي النووي الدولي، أيضاً أن تمتلك إيران برنامجاً فضائياً يعتمد على القدرات الذاتية الإيرانية، وانتهى حماد إلى أن إيران لها أهداف إستراتيجية في المنطقة وأطماع في أراض عربية أخرى، وأن طهران ربما لا تتوقف عند مجرد احتلال الجزر الإماراتية وتتطلع إلى البحرين و ربما أيضاً إلى أراضٍ كويتية.

الجزر وجامعة الدول العربية:

وكانت قضية الجزر الإماراتية الثلاث بنداً ثابتاً على جدول أعمال الجامعة العربية منذ احتلال إيران الجزر العربية الثلاث وتصدرت جدول أعمال وزراء الخارجية العرب في 1971/11/20، ثم عرضت على مجلس الجامعة في دورته (56) في 1971/12/6، وابتداء من الدورة (99) لمجلس الجامعة اعتبر المجلس موضوع « احتلال إيران للجزر العربية التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الخليج العربي » بنداً ثابتاً على جدول أعمال مجلس جامعة الدول العربية كما تدارست قمة عمان العربية التي عقدت في (مارس 2001) ملف الجزر الإماراتية المحتلة وأصدرت القرار رقم 208 الذي أكد على سيادة دولة الإمارات العربية المتحدة على جزرها الثلاث، وتأييد كافة الإجراءات والوسائل السلمية التي تتخذها لاستعادة سيادتها على جزرها المحتلة، و استنكرت استمرار الحكومة الإيرانية في تكريس احتلالها للجزر الثلاث وانتهاك سيادة دولة الإمارات العربية المتحدة، كما أدانت القمة قيام الحكومة الإيرانية ببناء منشآت سكنية لتوطين الإيرانيين في الجزر العربية الثلاث المحتلة، و أدانت المناورات العسكرية الإيرانية التي تشمل جزر دولة الإمارات الثلاث المحتلة، ومياهها الإقليمية، مطالبة إيران بالكف عن مثل هذه الانتهاكات والأعمال الاستفزازية التي تعد تدخلاً في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة ذات سيادة ولا تساعد على بناء الثقة وتهدد الأمن والاستقرار في المنطقة، و دعت القمة العربية في عمان 2001 الحكومة الإيرانية إلى إنهاء احتلالها للجزر الإماراتية الثلاث، والكف عن فرض الأمر الواقع بالقوة، والتوقف عن إقامة أية منشآت فيها، وإلغاء كافة الإجراءات وإزالة كافة المنشآت التي سبق أن نفذتها إيران من طرف واحد في الجزر الثلاث، وانتهت إلى التأكيد على أن استمرار احتلال إيران للجزر الإماراتية منذ عام 1971 يشكل عقبة أمام إرساء قواعد متينة لبناء علاقات عربية - إيرانية تستند إلى الميراث الحضاري والتاريخي المشترك، وتحقق المصالح المتبادلة للطرفين.

لمحة عن الجزر الإماراتية المحتلة

تقع جزيرة طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى في الخليج العربي بين ساحل الخليج العربي وهو ساحل الدول العربية المطلة على الخليج وبين ساحل جزيرة قشم الإيرانية وتكتسب هذه الجزر أهمية كبيرة بالرغم من صغر مساحتها كونها تقع بالقرب من مدخل الخليج العربي في المنطقة الأكثر عمقاً من مياه الخليج إضافة إلى أنها تستخدم كملجأ للسفن في حالة هبوب العواصف كما أن الجزر اكتسبت أهمية كبيرة في ضوء الوضع السياسي الغير مستقر الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط والنزاعات الإيرانية التي لا تنتهي مع جيرانها.. جزيرة طنب الصغرى تعرف في بعض المصادر باسم جزيرة "نايبو" وتقع هذه الجزيرة على بعد ثمانية أميال غرب جزيرة طنب الكبرى وهي مثلثة الشكل وتبلغ قطرها حوالي 2، 25 ميلا.. ويبلغ طول الجزيرة ميلاً واحداً وعرضها ثلاثة أرباع الميل..

جزيرة طنب الصغرى

ذات أرض رملية وصخرية وتتكاثر فيها الطيور البرية والبحرية ولا تتوفر فيها مياه الشرب العذبة ولذلك لا يسكنها أحد من البشر ولكنها كانت بمثابة مستودع ومخزن للمعدات والأمتعة وتعود ملكية هذه الجزيرة لإمارة رأس الخيمة..

جزيرة طنب الكبرى

تقع جزيرة طنب الكبرى على مداخل مضيق هرمز وأصل كلمة طنب بالعربية الحبل الذي تربط به الخيمة حتى تثبت في الأرض وتقع هذه الجزيرة على بعد 75 كيلومتر من إمارة رأس الخيمة وتبعد 29 جنوب الجنوب الشرقي لجزيرة قشم الإيرانية وتأخذ هذه الجزيرة الشكل الدائري فيبلغ قطرها حوالي 4 كيلومتر أما مساحتها فتبلغ 9 كيلومتر مربع وعلى الرغم من قلة المياه العذبة في هذه الجزيرة إلا أنها كانت مأهولة بالسكان حيث كان يبلغ عدد سكانها 700 نسمة قبل الاحتلال الإيراني لها..

وكان في جزيرة طنب مدرسة ابتدائية للبنين والبنات تسمى المدرسة القاسمية بالإضافة إلى عيادة صحية ومركز للشرطة وعدد قليل من المزارع وأشجار النخيل والأشجار المثمرة وكان السكان يمتهنون صيد الأسماك وبيعها في إمارات الساحل العربي وخاصة في دبي ورأس الخيمة وقليل من السكان امتهن الزراعة ورعي الماشية..

في عام 1913 قامت القوات البريطانية بعد موافقة حاكم الشارقة الشيخ سالم بن سلطان القاسمي ببناء فنار بحري لإرشاد السفن على أرض الجزيرة وقد خولت الحكومة البريطانية مندوبها السياسي المقيم في منطقة الخليج ويدعى (برسي كوكس) الاتصال بحاكم الشارقة للحصول على موافقته ببناء هذا الفنار وقد أبدى حاكم الشارقة موافقته بشرط وحيد وهو عدم المساس بسيادته على الجزيرة وهذا يدعم الملكية التاريخية والقانونية لدولة الإمارات على هذه الجزيرة.

جزيرة أبو موسى

ذات أراضي سهلية وفيها تل جبلي يسميه السكان جبل الحديد ويبلغ ارتفاعه 360 قدما وجبل آخر يطلق عليه الأهالي اسم جبل الدعالي (أي جبل القنافذ).. وكانت إيران والشارقة تشتركان في إدارة شؤون أبو موسى بموجب اتفاق أبرم في عام 1971.. إلا أن إيران عززت سيطرتها على الجزيرة متذرعة بأسباب أمنية لا أساس لها من الصحة !! وكان يوجد في أبو موسى قوة صغيرة من الشرطة ومحطتي تحلية لمياه البحر وتوليد الطاقة الكهربائية.. ويشكل هذان المصنعان مصدر الإمداد الوحيد بالمياه والكهرباء للسكان العرب في الجزيرة المقدر عددهم بنحو سبعمائة شخص.. ويتولى العمل فيهما وكذلك في عيادة صغيرة أجانب معظمهم من الهنود والباكستانيين، وأكثر من ستين في المائة منهم ممن يعملون في قطاع صيد السمك طردوا عام 1992 من هذه الجزيرة كما أن إيران أغلقت المدرسة الوحيدة التي كانت موجودة ومنعت المدرسين من دخول الجزيرة مما اضطر طلاب الجزيرة إلى تأدية امتحاناتهم في مدارس إمارة الشارقة

في النهاية قُدر لنا أن نعيش الربيع العربي في شرق الأمة العربية وغربها، والانتصار الحقيقي لدول الربيع هو استعادة الحقوق العربية المغتصبة من الجرح الفلسطيني الغائر وحتى الأراضي المقتطعة من إيران وتركيا وإثيوبيا، إن طلاسم مردة الجن بين أيدينا، ولا يحق لنا الرعب من مجابهة المارد.

سوريا من الحيط للحيط.. يا ربي الحرية

■ ندى درويش

ألف بي بوباية .. سطل دهان وفرشاية، أنا بكتب على الحيط، والأمن بيمحي وراي، شعار ردده المتظاهرون في سوريا مع أولى الشخابيط الثورية على جدران المدن السورية عقب انتهائهم من المظاهرات، وقيام رجال الأمن بمحو هذه الشعارات وتحرفيها لصالح النظام السوري.

هتاف يحمل الكثير من المعاني في طياته من تحدي للانتشار الأمني الكثيف في هذه المدن ولرجال الأمن وخوفهم من انتقال "عدوى الحرية" إلى حارات أو مناطق جديدة وإسراعهم لطمس هذه العبارات وكتابة شعارات مؤيدة للنظام السوري فوقها، كعبارة من هنا مرّ جنود الأسد، الأسد أو نحرق البلد ..

جدران الحرية

شرارة الثورة السورية انطلقت على جدران مدارس درعا، ليتبعها تضييق على بيع عبوات السبراي في بعض المدن السورية، لتنتهي بحملة من الاعتقالات طالت العديد من الشباب السوري، بتهمة بخ الحرية على الجدران..

ولأننا اعتدنا في الماضي أن نقول " الحيطان دفاتر المجانين"، تحولت هذه الجدران نفسها إلى دفاتر للحرية عبر مبادرة الكترونية أطلقها مجموعة من الشباب السوري بالتعاون مع أيام الحرية.

ويعدِ أسبوع غرافيتي الحرية امتداداً لحملة "الرجل البخاخ" الذي تحول إلى ظاهرة، وصار لكل مدينة وبلدة، "بخاخها" وبات مستهدفاً، وتحول إلى معتقل، أو شهيد، أو مُطارد.

انطلقت فكرة أسبوع الغرافيتي العنيف في مصر في كانون الثاني 2012، ليتبعها حملة مشابهة في إيران للتذكير بشهداء "الثورة الخضراء" ومن ثم تونس وفلسطين، لتصل الحملة إلى سوريا في 14 نيسان الماضي.

من الجولان سوريا بدا حرية

ووفر القائمون على هذه المبادرة كل وسائل الشرح والإيضاح عبر نشر فيديو لكيفية صنع بخاخ ببساطة بضغط الهواء، وصولاً لمرحلة تصميم الصورة "الستينسل" ورسمها وتفرغيها لتصبح جاهزة للبخ على الجدران عبر نشر فيديوهات على اليويتوب.

وتحت شعار" انشر.. اطبع ..فرغ.. بخ.. تحيا الثورة" وفرت صفحة الحملة ع الفيس بوك عدة تصاميم"ستينسل" جاهزة لرموز وعبارات رددت خلال المظاهرات وشكلت منعطفاً في مسار الثورة السورية كصور للاعب كرة القدم عبد الباسط ساروت، التي ملأت شوارع بيروت والقاهرة، وعبارة الشعب السوري واحد، يا حرية ، إضافة إلى صور عدد من شهداء الثورة.

صدى أسبوع الغرافيتي وصل إلى جدران الجولان السوري المحتل ومدينة القدس ورام الله.

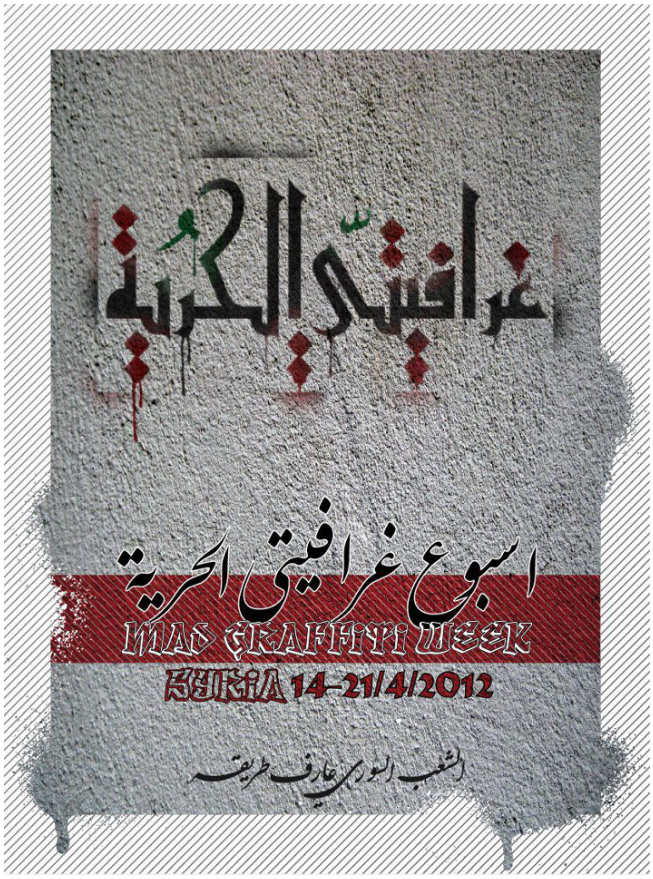

ويوضح القائمون على هذه المبادرة في صفحتهم الخاصة على موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك "أن الرسم واحدٌ من أهم الأساليب التي يستخدمها الإنسان ليعبر عن أفكاره، وهو أسرعها لشرح الفكرة وجعل الناس تتفاعل معها. والغرافيتي فنٌ يمكن تصنيفه ضمن العصيان المدني والتعبير السلمي".

وعن هذه الحملة يقول الناشط السوري طارق الغوراني وأحد القائمين على الحملة "كان التجاوب معنا كبير وخاصة في مدن كدمشق وحلب، وهي المحافظات المستهدفة بشكل أساسي بما يخدم الحراك السلمي.

ويوضح الغوراني أن أغلب أحياء دمشق وريفها شاركت بالحملة ليتفوق أهالي برزة بالمشاركة من خلال بخ صور غالبية شهداء الحي مؤكداً أن هذه التجربة ستتعمم على كل المدن السورية لنقول" شهداؤنا ليسوا أرقاماً، ولتبقى خيالاتهم تلاحق الشبيحة وأفرع المخابرات".

الثورة فن

وعن أهمية هذه الحملة بالتزامن مع الدعوات للتسليح أكد الغوراني أن" العمل المسلح في الثورة السورية يثبت فشله يوما بعد يوم، وينقلنا لمكان لا نريده، هذا وقتنا لنعزز العمل السلمي ولنقول أن الثورة هي ثورة فن".

والملفت للنظر في هذه الحملة أن المرأة البخاخة، عملت يداً بيد إلى جانب الرجل البخاخ، فظهرت جدارية للمرأة البخاخة في يبرود، واخرى في حي الصليبية في اللاذقية.

ويؤكد الغوراني أنهم اختاروا حملة الغرافيتي لإعادة الزخم الإعلامي للحراك السلمي السوري والوقوف في وجه وسائل الإعلام المهتمة بنشر أخبار القتل والموت والتحريض الطائفي.

"نريد لفت نظر الناس مرة أخرى إلى الطرق السلمية و أن نقول نحن لم نجرب هذا الطريق كما ينبغي، و هناك الكثير لم نجربه بعد ضمن الحراك السلمي".

جدران القاهرة تؤرخ لثورة مستمرة منذ 25 يناير

■ أمينة خيري

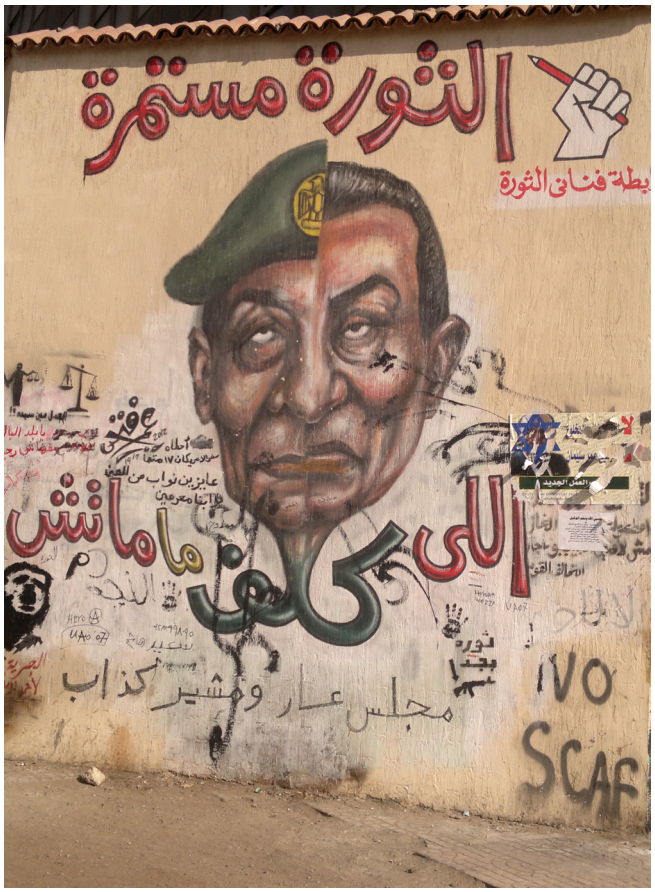

قبل أربعة أعوام «داخ مصطفى أحمد السبع دوخات»، ثم تعذب عذاب الدنيا والآخرة، وفي النهاية طلق الفكرة بالثلاثة. واليوم كل ما عليه أن يفعله هو التنظيم والتنسيق والتدريب، ومن ثم الإنجاز. أحمد (25 سنة) كان طالبا في جامعة عين شمس في 2008 حين اتفق ومجموعة من زملائه المحبين للمسرح كتابة وتمثيلا وإخراجا على تقديم مسرحية رأت إدارة الجامعة فيها من الإسقاط السياسي والتلميح الاجتماعي والتشبيه الاقتصادي ما كان كفيلا بوأد الفكرة قبل العرض بساعات.

لكن منذ كانون الثاني (يناير) 2011 بدأ يقدم عروضا مسرحية شارعية غارقة حتى أذنيها في السياسة. عروض كثيرة يقدمها شباب مصر اليوم في الشارع، وللشارع وعن قضايا الشارع، كما أنها تجري على خلفيات لا تخلو من ديكورات ورسوم ولدت هي أيضا من رحم الشارع.

مشهد فني بالغ الثراء والتنوع والإبهار عصف بمصر أثناء الثورة وبعدها. في البداية اعتقد الجميع أنها «هوجة» سرعان ما ستزول. ورجح البعض أن «الشباب كانوا في جرة وطلعوا بره»، وأكد آخرون أن مثل هذه الصرعات هي بالتأكيد تخطيط أجنبي يهدف إلى زرع ثقافة غريبة وبث أفكار عجيبة. لكن الأشهر الماضية كانت كفيلة بإظهار فنون الشارع المصري الشاب بشكل غير متوقع يؤكد أنها خرجت إلى النور لتبقى وتزدهر وتتوغل.

فـ «المحروسة» التي استيقظت صبيحة اندلاع الثورة على جدران ميدان التحرير وقد تحولت إلى عبارات وشعارات مطالبة بإسقاط النظام المستبد، وإقامة دولة الحرية والعدالة والكرامة، هي نفسها التي تتابع حاليا مجريات الأمور من خلال عيون فناني الشارع من الشباب.

وعلى رغم انتشار ظاهرة العروض الفنية المقدمة في الشوارع من مسرحيات وموسيقى وغناء، إلا أن فن الغرافيتي يظل الأشهر والأبقى والأكثر قدرة على تأريخ مسار الثورة وتحليل أوضاعها.

فمن كتابات فرح الثورة الأولى وحماية الجيش لها في «الشعب والجيش يد واحدة» إلى «ارفع رأسك فوق إنت مصري» قبل ظهور المصري الليبرالي والمصري الإخواني والمصري السلفي، إلى «الشعب خط أحمر» مع ظهور بوادر انتشار البلطجية انتشارا منظما لبث الرعب، ومنها إلى «يسقط يسقط حكم العسكر» مع تكرار حوادث مثل «محمد محمود» و«ماسبيرو» و«بور سعيد». وتبرز مراحل الثورة المختلفة من توحد الهمم وثبات العزائم وصولا إلى تشتتها مع بدء توزيع كعكة السلطة، وهي الكعكة التي أعادت تقسيم المصريين بناء على انتماءات أيديولوجية ملونة بلون التدين.

وعلى سبيل المثال، هناك قصة وراء «غرافيتي» «إحنا آسفين يا باندتا» التي رسمها الثوار على جدران القاهرة للسخرية من جماعة الإخوان التي بدأت تستحوذ على الحصة الأكبر من الكعكة باذلة كل الجهود لانتقاد من تسول له نفسه تعطيل هذا الاستحواذ. فالشباب الذين نادوا عبر الـ «غرافيتي» بالنزول إلى الميدان مرتدين قناع «فاندتا» الشهير، قوبلوا بهجوم شديد من الجماعة وأنصارها الذين لم يسمعوا بالتسمية من قبل، واتهموهم بأنهم سيرتدون أقنعة «باندتا» وبأنهم تابعون لتنظيمات تخريبية تهدف إلى إحراق الوطن، فما كان من هؤلاء إلا أن ردوا بالشعار الشهير «إحنا آسفين يا باندتا».

ولم يستأثر «باندتا» وحده بالجدران، فقد وجد شباب حملة المرشح الرئاسي المستبعد عمر سليمان، في الجدران خير وسيلة لتوصيل الرسالة. «سليمان عووو الإخوان» و «ياعصابة البرلمان خايفين ليه من سليمان». وهي رسائل لم تكن تهدف فقط إلى انتقاد الإخوان، بل الدعاية لمرشحهم بأنه خير من يواجه الإخوان.

وفي الواقع، يحسب لسليمان أنه وحد صفوف الفرقاء من ثوار وإخوان في رفض ترشحه، وإن عبر كل منهما بطريقته الخاصة. فالإخوان عبروا عن ذلك من خلال غالبيتهم البرلمانية وتمرير قوانين العزل السياسي، في حين لا يملك ثوار الميدان إلا الجدران، الواقعية أو العنكبوتية.

إلا أن «غرافيتي» الثورة لا يقف عند حدود حرب الشعارات بين الفصائل السياسية المختلفة، أو تلك المحفزة للشعب، بل تمتد أيضا لتركز الضوء على فناني غرافيتي يرتقون إلى العالمية. وعلى رأس هؤلاء يأتي «جنزير» أو محمد فهمي، فنان غرافيتي الثورة الأشهر الذي باتت رسومه تتحدث عن نفسها من دون توقيع.

دبابة ضخمة تكاد تكون بالحجم الطبيعي وأمامها شاب يقود دراجة وهو يحمل قفصا مليئا بالخبز، والجندي يصوب بندقيته تجاهه! وجه عليه قناع مضاد للغاز مذيل بعبارة «إلبس علشان نازلين»! رسم رائع للشهيد الشاب سيف الله مصطفى وغيرها العشرات من الرسوم الجدارية التي تنتشر أخبارها عبر «فايسبوك» و «تويتر» انتشار النار في الهشيم، وباتت هي نفسها مزارا ثوريا!

«غرافيتي» الثورة يمكن تصنيفه بأنه أحد أبرز وأهم إنجازات الثورة المصرية. فجر طاقات الشباب الفنية والسياسية. لفت الأنظار ومن ثم العقول. ساهم في كسر حاجز الخوف بدءا بخوف العقل من التفكير، ومرورا بخوف المجاهرة بالرأي، وأخيرا بالتفاعل من خلال النزول إلى الشارع ورفع الصوت مطالبا بالحقوق والرسم على الجدران.

عن جريدة الحياة

إعداد: ندى درويش

فلسطينيون ينقسمون حول التطبيع مع جدار الفصل

■ بديعة زيدان

يختلف محترفو هواة الرسم على الجدران (غرافيتي) الفلسطينيون في شكل واضح حول الرسم على جدار الفصل العنصري في الضفة الغربية، ولكل مبرراته التي يراها منطقية ومقنعة. فمن يرفض ممارسة الـ «غرافيتي» على الجدار، يرى أن في الرسم عليه نوعاً من الاعتراف به، كما أنه يساهم في تجميله بينما هو «أبشع جدار في العالم»، رافضين في الوقت ذاته أن يتحول الجدار إلى «مزار سياحي»، أو متنفس للغرافيتيين من مختلف أنحاء العالم، في حين يرى مؤيدو الرسم على الجدار الإسمنتي الذي يتلوى كأفعى في الأراضي الفلسطينية، أنه بات محجاً لكبار الرسامين العالميين، وبالتالي يمكنهم من خلاله إيصال رسائل إلى العالم ضد الاحتلال وسياساته بما فيها الجدار العنصري نفسه. ويرى هؤلاء أيضاً في الرسومات مقاومة من نوع خاص، لا سيما مع اشتعال حرب الغرافيتي بين الفلسطينيين ومؤيديهم، والإسرائيليين ومؤيديهم، على الجدار.

وفي هذا الإطار يقول تقي الدين السباتيني، وهو أحد المعارضين للرسم على الجدار: «بات جدار الفصل العنصري أكبر لوحة غرافيتي في العالم، لكني أرى أن الرسم عليه غير ملامحه البشعة، ومنحه جمالية لا يستحقها. كنت أتمنى لو يبقى رمادياً بشعاً كما أوجده الاحتلال. كان الجدار رمزاً للموت والدمار. كان رمزاً كئيباً، وبات الآن يحمل الكثير من الإبداع، وهذا مخيف للغاية على صعيد تقبلنا له، أو تعاطينا معه بشكل أو بآخر».

ويرى حمزة أبو عياش، أن الرسم على الجدران يعكس حالة من التعايش معه. ويقول: «هذا ورم سرطاني، ويجب عدم التعامل معه بأي شكل من الأشكال».

مجد عبد الحميد، أحد مؤيدي الرسم على الجدار، بل رسم على الجدار في منطقة الرام القريبة من القدس، لوحة ممتدة عبارة عن أحرف مبعثرة تشكل إذا جمعت «وثيقة الاستقلال الفلسطينية»، التي كتبها الشاعر الفلسطيني الكبير الراحل محمود درويش. ويقول: «الجدار ليس ملك لنا، ولا نريده لنا، لأنه رمز لا إنساني، لكن هذا لا يعني عدم الرسم عليه. التطبيع مع الجدار لا يكون باعتزال الرسم عليه. أرى في الرسومات على الجدار نوعاً من المقاومة».

ويختلف الفلسطينيون في رؤيتهم للغرافيتي وشروطه، فتقي الدين السباتيني، الذي سبق أن احتجز لدى أحد الأجهزة الأمنية الفلسطينية لرسم ينتقد الانقسام الداخلي المتواصل منذ ست سنوات، يرى أن من الضرورة مراعاة أن هذه الرسوم تعرض أمام العامة، وبالتالي يجب على راسميها الأخذ في الاعتبار أن يتقبلها ويفهمها الجميع، أو على الأقل لمس جمالياتها، في حين يرى أبو عياش أن على الغرافيتي أن يعبر عن ذاته وعن الجماعة في آن، وإن تمكن من تجاوز هذه الجدلية الصعبة سيكون من أفضل الرسامين.

ويختلف الغرافيتي الفلسطيني الحالي عما كان عليه في الانتفاضة الأولى، حيث كانت قوات الاحتلال الإسرائيلية تعتقل كل من يكتب شعارات وطنية على الجدران، بل إن البعض أصيب أو استشهد وهو يرسم علم فلسطين، أو صورة الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، أو «حنظلة» ابن ناجي العلي الكاريكاتيري، أو حتى أية عبارات مناهضة للاحتلال. أما في السنوات الأخيرة فبات الغرافيتي يعتمد على الرسم أكثر من الكتابة، ولا يقتصر على مقارعة الاحتلال، بل على انتقاد الأوضاع الداخلية، والتعبير عن معاناة الناس «العاديين»، بل وسيلة تنبيه ونقل رسائل للمسؤولين، إلا أن السياسة تبقى طاغية.

ويقول مجد عبد الحميد: «السياسة ليست خياراً... فكل حياتنا سياسية. هذا لا يعني أن لا مواضيع يتم التطرق إليها بعيداً عن الاحتلال، لكنها ليست بعيدة عن السياسة بمفهومها العام في نهاية المطاف». ويلفت عبد الحميد إلى أن «في الآونة الأخيرة بدأت الأجهزة الأمنية تضيق الخناق على الغرافيتيين الفلسطينيين، خصوصاً في ما يتعلق بانتقاد السلطة الفلسطينية، وتناول مواضيع يرونها حساسة، وهو ما يصفه بالمؤسف، بخاصة أن لفن الغرافيتي في فلسطين رمزية كبيرة، لكونه ولد من رحم الانتفاضة الأولى».

على جدار الفصل العنصري مرّ غرافيتيون كبار من العالم بألوانهم وخطوطهم كالبريطاني بانكسي، والفرنسي فينس، المعروف في فلسطين برسمه للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، والأسير القيادي في حركة فتح مروان البرغوثي عند الجدار المحاذي لمعبر قلنديا العسكري الفاصل بين القدس وسائر مدن الضفة الغربية، برسومات بعضها طمستها مجموعات صهيونية من الغرافيتيين الأوروبيين وبخاصة التشيك، وأخرى تنتقد الاحتلال بشدة وشراسة، وبحرفية عالية. ويرى آخرون كالفنان الدنماركي «تذكروا اسمي»، وكان في زيارة قبل أيام إلى الأراضي الفلسطينية، ضرورة الابتعاد عن جدار الفصل والرسم على جدران فلسطينية بامتياز، والابتعاد عن السياسي، لقناعته بأهمية أن يكون للغرافيتي دور في بث الأمل للشعوب، خصوصاً التي تعاني ظروفاً صعبة كالشعب الفلسطيني.

عن جريدة الحياة

إعداد: ندى درويش

تحية للثورة السورية من المسجد الأقصى في القدس المحتلة

يوميـــــات

■ خالد كنفاني

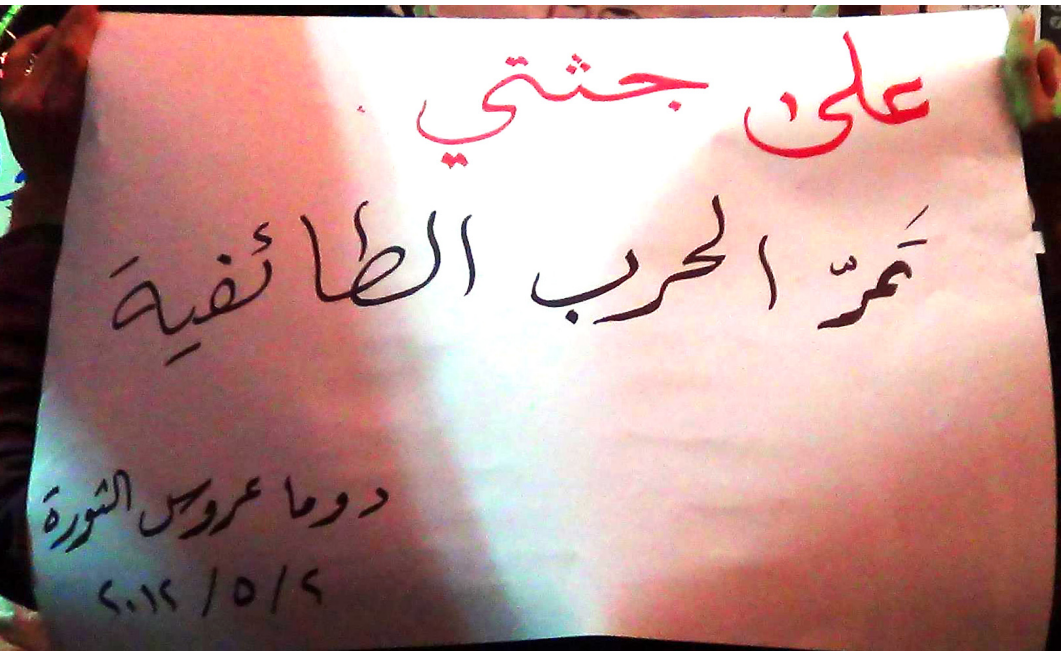

"استيقظ، علينا أن نغادر فوراً. "

لم تكن تلك المرة الأولى التي يستمع فيها إلى تلك الجملة، كما أنه لا يتوقع أن تكون الأخيرة. خلال الشهور الستة المنصرمة تنقل بين أربعة مدن وبين أكثر من أربعة عشرة غرفة ومنزلا. لم يكن مجرماً فاراً أو مهرباً أو قاتلاً. بدأ يفهم أن في بلاده تتم ملاحقة المثقفين والمفكرين بينما يترك الآخرون.

لم يحتج إلى وقت طويل للاستيقاظ والوصول إلى باب الغرفة الصغيرة في إحدى حواري دمشق القديمة. فهو اعتاد النوم بملابسه خلال الأشهر الماضية وكأنه يقاتل على جبهة حرب، بل لعلها أسوء. ففي جبهات الحروب يمكنك رؤية تحصينات العدو وحدوده البرية وآلياته العسكرية، أما في حالته فالعدو هو مجموعة أشباح، تظهر فجأة وتختفي فجأة، ليس لها نظام ولا ضابط، لا تفقه شيئاً ولا تريد أن تفعل، يصطادون من يشاؤون متى شاؤوا دون أدنى وازع.

كيف عثروا علينا هنا؟ بدأ الشك يتسرب إلى نفسه، هل هؤلاء من الجن؟ أم أنهم بشر مثلنا؟ هل هناك من أخبرهم؟ لعلها صاحبة البيت؟ ولكنه لم يقم بأي شيء داخل الغرفة ليثير الشبهات. كانوا مجموعة من ثلاثة شباب اقتسموا الغرفة ذاتها لتوفير النفقة، وكانوا يتناوبون النوم، فهناك دائماً واحد منهم في مظاهرة ليلية، ولكن صاحبة البيت لم تعلم شيئاً عن ذلك.

"هيا، إنهم في أول الحارة". أيقظته الجملة من شروده وأسئلته التي بقيت بلا إجابة. "وإلى أين الآن؟" كان هذا السؤال حاضراً بقوة في الشهور الماضية من حياته، فلم يلبث أن يستقر لأسبوعين في المكان حتى يهبط عليه شياطين الأرض من حيث لا يدري. عرف معنى أن يكون المرء مشرداً وبلا عنوان، وحتى بلا هوية. في الآونة الأخيرة بدّل اسمه أكثر من سبع مرات، كما بدل بريده الالكتروني وحساباته على المواقع الاجتماعية التي كانت وسيلته للتواصل مع الآخرين عشرات المرات. وصل إلى درجة أنه أصبح ينسى أسماء حساباته لتعددها. لكن الغريب في الأمر أنه لم يشعر أبداً بالضعف. مرت عليه الكثير من لحظات الألم والإحباط والغضب لكنه لم يسمح بالضعف بالتسرب إلى نفسه.

في إحدى المرات في إدلب لم يكن يفصله عن الاعتقال سوى أمتار قليلة. كان الأمن قد حاصر الحي الشعبي الذي قطنه مع بعض زملائه وبدؤوا باعتقال كل من تقع عليه أيديهم، إلا أنه وللأمانة كانوا يفرزون المعتقلين، بين نساء وأطفال وشيوخ وشباب بين الثامنة عشر والخمسين. كل مجموعة تم اقتيادها إلى باص مختلف، ويبدو أن الأمن قد أنشأ فروعاً خاصة للتعذيب والاعتقال لكل فئة أو شريحة على حدة. اختبأ يومها في صندوق كنبة عتيقة كان يستخدمها كخزانة ملابس، دخل المغول وخرجوا ولم يروه. نجا بأعجوبة ولكن إلى حين.

نظر حوله سريعاً عله يجد ما يأخذه معه فتذكر بأنه لم تعد لديه حاجيات، فقد علّمته حياة التخفي أن يتنقل بأقل الأوزان، فالحقائب والحاجيات تناسب من يعيش حياة استقرار، أما هو ففي ترحال دائم في الظلام وبين الأزقة، ولن تكون الأوزان الإضافية سوى عبئاً يؤخر حركته ويعجّل اعتقاله.

جاءته رسالة على هاتفه، "بعد نصف ساعة في الصبار"، كان وزملاؤه غالباً ما يستخدمون أسماء مستعارة للمناطق وطريقة التحرك، وهذه الرسالة تعني تماماً وجود مظاهرة في المزة بعد نصف ساعة. لم يكن لديه وقت ليضيعه، هرب من الحارة إلى المظاهرة مباشرة، وسيكون لديه لاحقاً وقت للتفكير في الوجهة التالية.

كان تشييعاً لأحد من شاركهم المظاهرات في دمشق، لم يكن قد مضى على انتقاله إلى هنا أكثر من ثلاثة أشهر حين تعرّف إلى هذا الشاب. كان أنيقاً ومهذباً ولكن أعماقه تجيش بالغضب. عرّفه على أهم أحياء دمشق الثائرة وانخرط معه في المظاهرات والجنازات. لم يخطر بباله يوماً أن يحضر تشييع ذات الشخص الذي أدخله أجواء الثورة.

كان التشييع هذه المرة مهيباً وهادراً، وفاضت مشاعره لأنه في هذه المرة يعرف الشهيد حق المعرفة، وهو لا يزال لا يصدق أن من داخل النعش كان حتى الأمس يصيح بأعلى صوته طلباً للحرية. هذا الجسد المسجى بلا حول ولا قوة كان ممن أقلق عناصر الأمن في ليلهم ونهارهم، كان المخبرون يرونه بأم أعينهم داخلاً منزله إلا أن الأمن كان يفاجأ باختفائه كالملح في الماء. كيف اصطادوه هذه المرة؟ بقي السؤال معلقاً في حنجرته الغاضبة.

وصل إلى المكان الذي عجّ بالغاضبين والثائرين الذين قدموا من معظم مناطق العاصمة. ورغم أنه لم يكن هذا التشييع الأول بالنسبة له، إلا أن الموقف هذه المرة كان رهيباً بحق. انطلقت الحناجر بالتكبير والحرية والتوعد بالانتقام ممن سلب روح وحياة هذا الشاب الذي كان ينتظره مستقبل لامع لو أنه وجد في مكان آخر.

لماذا يشعر بهذا البرد؟ الجو حار ومشحون ولكن أطرافه بدأت تتجمد. ساد الهرج والمرج من حوله، لم يفهم لماذا لا يقوى على الحركة، لقد كان بكامل نشاطه عندما انضم إلى التشييع. كانت الأصوات الهادرة تتبدل مع دخول أصوات أسلحة أوتوماتيكية وعادية. هو الأمن إذاً، ولن يسمحوا حتى للشهيد بالراحة في التراب، ولكنه لا يزال لا يفهم سر هذا البرد في أطرافه.

بدأ سائل دافئ يتسرب عبر ثيابه ويحبو فوق أجزاء جسمه المتجمد، وكأن هذا السائل يعرف طريقه ومسيرته فكان يمشي مسرعاً من الأعلى للأسفل، لم يشعر بأي ألم إلا أن خدراً غريباً كان يتسلل إلى أطرافه ولم يعد يشاهد ما حوله بوضوح.

"اسحبوه بسرعة"، لم يفهم عمن كانوا يتكلمون، إلا أن الجواب كان سريعاً، فقد شعر بجسده البارد يسحب على الأرض الاسفلتية الخشنة. ولكنه لا يشعر بأي ألم. تعب من يسحبه فقرر الوقوف برهة لاسترجاع تنفسه، إلا أنها كانت برهة كافية ليسقط الآخر فوقه ميتاً. هو الموت إذاً، ولكنه لا يزال يرى ويسمع؟ ما هو شعور الموت يا ترى؟ وهل تتألم الروح أم أن الجسد هو من ينال النصيب الأكبر من ذلك؟

استغرب أن أحداً من الأمن لم يعره أدنى اهتمام وهو يدوس على يده راكضاً خلف المتظاهرين، واستنتج أنه لم يعد بين المتظاهرين، وإلا فكيف يمكن تفسير تصرف رجل الأمن؟ حاول الكلام مع الشاب الذي لا زال مرمياً فوقه إلا أن الأخير لم يسمع شيئاً، حاول فعل أي شيء إلا أنه شعر بالتجمد بالفعل. "شوفو عايش لسا؟" لم يفهم مغزى السؤال إلى أن جاءته ركلة من أحد هؤلاء الهمج، لم يتألم ولكنه كان حزيناً، كيف يركله هذا الشبيح وهو مصاب، ولكنه ليس مصاباً، فهو لا يتألم. "سيدي شكلو فطس"، فطس؟ وهل هو عنزة مثلاً؟ ولكن مهلاً، هذا الهمجي الذي ركله يؤكد حالة هنا، وهنا بدأ بتفسير عدم شعوره بالألم وكذلك شعوره بالبرودة الشديدة.

كان الشمس تميل للاختباء وراء الأفق معلنة انتهاء يوم هنا وبداية آخر في مكان بعيد، ولكنه كان رغم الظلمة يرى أنواراً تشع من بعيد. كانت الأنوار مبهرة وتبعث على الشعور بالاطمئنان والسلام رغم أنه لا يزال ممدداً في الطريق والأصوات تخبو شيئاً فشيئاً.

ماذا يحصل؟ إنه الصراخ ثانية، وحشود من الشباب تحمل... يبدو أنها تحمل صندوقاً خشبياً بسيطاً ضم بين جدرانه المتشربة بالدماء جسداً جديداً، هذه المرة جسده هو. كان النور يملأ المكان ولكنه بدأ يشعر ببعض الخوف، سمع اسمه أكثر من مرة اليوم بينما أضاف بعضهم إلى اسمه كلمة "شهيد".

سكن كل شيء فجأة، كان هناك خمسة أشخاص يصفون الوقت بأنه الليل، هو لم يعد يميز الأوقات ولا الأشياء، فالأنوار التي تضيء حياته الجديدة لا تخبو أبداً.

حتى هذه اللحظة لم يكن وحيداً، إلا أنه ومع هبوطه في الأرض بدأ شعور الوحشة يتسرب إلى أعماقه. هل سيتركونه هنا؟ كان أحدهم يقرأ آيات قرآنية بينما آخر يرمي التراب، لماذا يفعلون هذا به؟ لا يزال لديه الكثير ليقوم به، وها هم يحبسونه في قاع الأرض. كانت الأنوار الباهرة هي ما يهوّن عليه المسألة، ولكنه اليوم يعيد حساباته ويراجعها. كان قد خرج في أكثر من سبعين مظاهرة، ولكنه لا يزال يشعر بالندم على كل دقيقة ضيّعها بدون مظاهرة. هل سيعود يوماً؟ لعل روحه المحلقة الآن في الفضاء تحط في مكان آخر وتبدأ بذلك رحلة جديدة ومسيرة جديدة.

"إلى أين الآن؟" لم يعد هذا السؤال يقلقه بعد اليوم. فهناك من يتكفل بهذه المسألة حالياً. هل كان سيغيّر أي شيء لو أنه عاد إلى الأرض مجدداً؟ حتماً لا. كان شوقه إلى أمه التي لم يرها منذ شهور يعتصر قلبه، أما أبوه فقد سبقه إلى "هناك" ومعه آلاف ممن ينظرون إلينا ويطلبون ثأرهم. ساد البياض المكان وسكن كل شيء حتى الزمان.

حدود الصراع على سوريا

■ ميشيل كيلو

لا أعرف إن كان الروس سيصرون إلى النهاية على موقفهم الراهن، وأشك كثيرا في أنهم قادرون على مجاراة أميركا في لعبة القوة النهائية، التي أعتقد أنها ستبدأ خلال أشهر قليلة، حيث سيبدو الواقع الدولي بعدها على حقيقته، بعد خروجه من الضباب الانتخابي في أميركا، وتمكن الرئيس المنتخب من فصل سياسته السورية عن موقعه داخل الإدارة، والتصرف في ضوء مصالح ما فوق شخصية تتخطى موقعه داخل النسق السياسي الأميركي إلى ما عليه فعله كي تضع أميركا يدها، أو معظم يدها، على سوريا، من ضمن الصراع العالمي على منطقة الشرق العربي، الذي بدأ مع نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين الحالي، ويعتبر في نظري علامة فارقة رئيسة للسياسات الدولية في الحقبة الراهنة من تاريخ عالمنا.

هجمت روسيا في مجلس الأمن، لتقيم سورا حول سوريا :مركز نفوذها المميز الأخير في المشرق العربي ومجمل المجال الآسيوي الذي وراءه، إذا ما استبعدنا إيران، موقعها الآسيوي الآخر، المختلف عن الموقع السوري بما يمتلكه من قوة نسبية تتيح له استقلالا فاعلا عن السياسات الروسية، ومنافستها في بعض المناطق، بل وتشكيل بعض الخطر عليها في مناطق محددة. وفرضت روسيا بقوة «الفيتو» إبقاء القوى الأخرى، وخاصة منها أميركا، مقيدة الخيارات والحركة حيال الشأن السوري، بينما مارست واشنطن حدود دورها بتردد أملاه عليها وضع رئيسها الراغب في إعادة انتخابه، أكثر مما أملاه تفوق روسيا في الشرق الأوسط عامة وسوريا خاصة. في ظل هذا السلوك المتربص والمؤقت، واصل الأميركيون النظر إلى الأزمة وما تفرزه من سياسات داخلية وإقليمية ودولية بهدوء من يثق بأن ثمار الصراع ستسقط ذات يوم غير بعيد، في حضنه، من دون أن يتعب نفسه كثيرا في إعداد الظروف الضرورية لذلك، ما دام عنف النظام السوري المتصاعد هو الذي يتكفل بتقويض أية فرصة لحل المشكلة بواسطة تسوية داخلية، وبتدمير مجتمع لطالما لعب دورا خاصا في الصراع على المنطقة، يهم أميركا وإسرائيل كثيرا التخلص منه منذ بداية الحقبة الديمقراطية البادئة، كي لا يكرر تحديه لهما الذي أتعبهما كثيرا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية،عندما وجدت القيادة الناصرية المصرية فيه حاملها القومي طيلة نيف وربع قرن، فكان لا بد من تدميرهما معا، وهو ما حدث خلال ضربة حزيران العسكرية التي أدت إلى القضاء على القيادة الناصرية في مصر، بينما قوضت حركة حافظ الأسد التصحيحية مجتمع سوريا وفككته وطيفته ووضعت مكوناته الواحدة في مواجهة الأخرى. لذلك تستطيع أميركا اليوم التفرج بارتياح إلى استكمال تدميره على يد الجيش الأسدي، والاطمئنان إلى أن سوريا لن تفلت منها في نهاية المطاف، في حين ستخرج روسيا منها وهي تجر أذيال الهزيمة والخيبة، ليس فقط لأنها تتحالف مع نظام تقف أكثرية شعبه ضده، بل كذلك لأن النظام يتحول إلى عبء عليها في واحدة من أكثر لحظات تاريخها العربي حرجا وصعوبة، ويفقد قدرته على أن يكون تابعا مفيدا لها، بينما تشحن مواقفها صدور السوريات والسوريين بحقد متعاظم عليها قد يؤدي إلى إلحاق أذى شديد بها، إن لم يكن اليوم فغدا، وتحشد قطاعات واسعة من الرأي العالم العربي والإسلامي ضدها، وتثير غضبها ضد سياساتها ومصالحها.

تراقب أميركا وإسرائيل المشهد بفرح، ما دام شطب سوريا الدولة والمجتمع قد كان دوما بين أولوياتهما، ولأن النظام قام ويقوم بهذه المهمة نيابة عنهما، مع أنه لن يجني من ذلك غير المزيد من الضعف والتهالك، ويضع نفسه، بمجرد أن يتوقف إطلاق نيران مدافعه، في مكان سيخرجه من معادلات السياسة والقوة في المنطقة، التي كان قبل الأزمة عاجزا عن إحراز أي تقدم لصالحه فيها، فكيف يكون الحال بعد أن زج جيشه في حرب داخلية استنزفت روحه الوطنية ومعنوياته وكثيرا من قدراته، ووضعته خارج دوره الوحيد المقبول: مواجهة إسرائيل وتحرير الأرض السورية المحتلة؟ سيكون من المحال أن يفكر النظام ولو مجرد تفكير بمواجهة أميركا وإسرائيل، عندما تحين ساعة تسديد الفواتير، كما سيكون من المستحيل رفض أي أمر تطلبانه منه.

ألا يفسر هذا لماذا تركت الروسيا دعم القضاء العملي على دولة ومجتمع لطالما كانا حليفين لها؟ لن تجد روسيا بعد اليوم أي تعاطف منهما، ويرجح أن لا يقفا إلى جانبها في أي مستقبل منظور، إن واصلت سياساتها الراهنة خلال أشهر الحسم القليلة القادمة. ولعل الروس لم يفهموا بعد معنى أن يستجير الشعب السوري بقوى الغرب، التي تفيد من قتله وتدميره، بينما تتحول روسيا إلى عدو له يراه بأعين الحقد والرغبة في الانتقام، ويضعه في سلة واحدة مع النظام الذي يقتله.

تراقب أميركا المشهد بارتياح، فالمأزق لدى الآخرين: النظام الذي ينتحر بيده وهو يقاتل ويقتل شعبه، والشعب الذي بدأ ينظم ويوسع عنفه ضد النظام، بينما تسير سوريا على طريق التآكل اليومي والتدمير العنيف، الذي لن يصل بها إلى الديمقراطية، إن وصل، إلا وهي منهكة، لا تقوى على بناء تجربة تتطلب الكثير من الوحدة والوعي والتضحية والقدرات، بينما يمكن للمعركة الحالية، الدائرة عند قاع المجتمع، أن تمنع قيامها لفترة طويلة جدا، بما أن حاملها المجتمعي الموحد سيكون غائبا أو مهشما، بينما ستخرج مكوناته جميعها مدماة وممزقة ومفقرة بقوة العنف العبثي المتصاعد. أما روسيا ،التي تتحول إلى طرف في الصراع، فإنها لن تخرج رابحة منه، لأنها تبدو وكأنها ربطت مصيرها بطرفه الرسمي، المصمم على منع أي حل سياسي حقيقي للأزمة التي تعصف بوطنه، فهي لا تجد أمامها غير بدائل ثلاثة يصير بلوغها أصعب أكثر فأكثر بمرور الوقت، مهما كانت درجة انخراطها في الصراع وكان تصميمها على خوضه:

1 - المشاركة في المعركة حتى انتصار النظام. هذا البديل سيكون مكلفا إلى درجة يصعب تصورها، ليس فقط لأنه سيضع موسكو في موقع من يقاتل أغلبية السوريين، بل كذلك جمهرة العرب والمسلمين، وسيجعل منها خصما، وربما عدوا، لبلدان الخليج ولغيرها من دول المنطقة. ثم ماذا سيعني انتصار النظام، إن كان سيخمد الثورة بتحويلها إلى عمليات قتال مستمرة وحرب عصابات، لن تلبث أن تفجر ثورات وثورات؟ إلى ذلك، سيرتطم هذا البديل بالمصالح والسياسات الأميركية، التي أعلنت رفضها السماح بحدوثه، كما أخبرتنا هيلاري كلينتون وزيرة خارجية واشنطن، التي قالت خلال مؤتمر أصدقاء الشعب السوري في اسطنبول: «إن بشار الأسد واهم إن اعتقد أنه سيهزم المعارضة»، ورسمت بقولها خطا أحمر لا شك في أن روسيا ستكون معنية به، خاصة بعد استعمالها الفيتو في مجلس الأمن وما ترتب عليه من نتائج ميدانية بدا معها أن موسكو تحمي النظام، وأن شعب سوريا صار من حصة خصمها الأميركي ،الذي سيمنع النظام وروسيا من هزيمته، كما أعلنت كلينتون.

2 - الاتفاق مع الأميركيين على حل يحفظ مصالحهم من دون أن يحفظ بالضرورة النظام، في حال توفرت للروس ضمانات أميركية وسورية معارضة، تقنعهم أنه يمكنهم الحصول على ما كان يعطيهم إياه النظام. بما أنه لا يمكن للتوافق مع الأميركيين أن يبقيهم خارج المعادلة السورية، فإن موسكو لا بد أن تكون لها مصلحة حقيقية في التفاهم مع المعارضة، لأن ذلك يحسن أوراقها تجاه أميركا، في لعبة الشد والجذب الحالية معها.

3 - التفاهم مع المعارضة، إما مجتمعة، أي مع المجلس الوطني وغيره من تنظيمات ما يسمى معارضة الداخل والخارج، أو منفردة، باعتبار أن المجلس قد يكون من حصة تركيا، وأن معارضة الداخل، التي لا يقر بوجودها، تستطيع فتح خط على موسكو، وآخر على قوى داخل النظام من غير آل الأسد، في مسعى ينضج حلا لا يبدل كثيرا خيارات سوريا وعلاقاتها مع موسكو، لكنه يحجم النفوذ الأميركي ويقوض حضور تركيا وملحقاتها الإسلامية السورية في الأزمة. هل بدأت روسيا تعمل على هذا الخيار انطلاقا من دعوة هيئة التنسيق إلى موسكو؟ وماذا ستفعل أميركا إن نجح؟ هل تقوم تركيا عندئذ بالتورط المباشر في الأزمة السورية لمنع الحل الروسي، مع ما يمكن أن يسببه ذلك من أزمات تدفع إلى حل يأخذ بالبديل الثاني: التفاهم الأميركي الروسي، الذي سيعني عندئذ تزايد نفوذ أميركا على حساب النفوذ الروسي في سوريا؟ لكن موسكو ستقبله لأنه أهون الشرين بالنسبة إليها، ما دامت لا تستطيع خوض معركة طويلة في الشرق الأوسط مع أميركا والغرب ودول الخليج والجمهور العربي والإسلامي الواسع من دون أن تتقطع أنفاسها وتستنزف خلالها.

ماذا سيحدث إن رفضت المعارضة الداخلية الخيار الروسي؟ هل ستربط موسكو وجودها ونفوذها في سوريا بالنظام، علما بأن من المرجح جدا أن تدخل أميركا بقواها الخاصة وبصورة مباشرة على الخط، بعد أن يبلغ التدمير حدا يؤدي إلى شطب سوريا من معادلات السياسة والقوة في المنطقة، وأن يقوم في سوريا نظام هش، غير ديمقراطي وعاجز عن حل مشكلاتها، سيجد نفسه مجبرا على الارتماء في الأحضان الأميركية / الخليجية، وعلى إرجاء وربما هجر المشروع الديمقراطي، الذي لا تريده واشنطن وتل أبيب على حدود فلسطين الشمالية.

لا خيار أمام روسيا أفضل وأعقل من التخلي عن النظام والبحث عن بديل له، من ملامحه: التفاهم مع أميركا الذي لن يكون سهلا لأن واشنطن ستجد في قبول الروس بتسوية عامل ضعف لا يجوز التساهل في استغلاله. والسعي إلى تفعيل البديل الثالث، خط موسكو / المعارضة الداخلية / أطراف في النظام. وهذا لن يكون ممكنا بدوره من دون قيام المعارضة بتقديم ضمانات للروس يعينهم الحصول عليها، وبدء مرحلة الانتقال الصعبة جدا إلى الديمقراطية، على التفاهم مع الأميركيين حول حل وسط يقر الأخيرون فيه بما حصلت موسكو عليه في سوريا، وهم يدخلون إليها .

ماذا ستفعل موسكو، بينما الوقت يضغط عليها، والتدخل الخارجي الحاسم يقترب أكثر فأكثر، وتقاس مدته بأشهر قليلة قادمة؟ هل تضع مصيرها السوري بين أيدي نظام لا سياسة لديه غير العنف، يدير به أزمة شاملة هي الأخطر في تاريخ العرب الحديث، محملة بعناصر الانفجار ومخاطر الصدام بين القوى المحلية والإقليمية والعظمى؟ أم أن موسكو ستسارع قريبا إلى إيجاد حل يحفظ مصالحها بحق ويوقف عملية تدمير البلاد، أيا كان ثمنه؟

السفير اللبنانية 28 / 4 / 2012

الصورة المُسربة . . سلاحٌ للثائرين أم وثيقةٌ للألم؟

إلي رامي السيد ومظهر طيّارة وكل من ضحي ومازال يضحي ليوثق الثورة في سوريا

■ محمد العطار

ناصر الشامي : دموع البطل ومأساة مدينة

في عام 2004 وخلال الألعاب الأولمبية في أثينا تعرف السوريون علي ناصر الشامي، الملاكم الشاب الذي حصد لسوريا ثالث ميدالياتها في تاريخ مشاركاتها الأولمبية . الأهم من ذلك أن البرونزية الثمينة هذه أتت من شاب حموي لم يكن معظم السوريين يعرفونه مُن قبل . قيل إنه يعمل كجزار كي يُعيل نفسه ! في الحقيقة وحتي اللحظة لم أتوثق من صحة المعلومة، لكني صدقتها كغيري ربما مدفوعاً بتلك الصورة المُحببة لبطل الملاكمة المُعدم " روكي بالبوا " الذي كان يعمل في مسلخ ليؤمن قوته اليومي، في الفيلم الهوليودي الشهير .

علي أن أكثر ما أتذكره عن ناصر الشامي، لم تكن دموعه الغزيرة بعد فوزه علي ملاكم أذربيجاني ضامناً بذلك إحدي الميداليات الثلاث، وإنما نزاله في نصف النهائي وابتسامته التي لم تفارق وجهه المُثخن بضربات الملاكم الكوبي العتيد أولدنير سونيس فونت، وهو البطل العالمي لسنين عديدة، وسليل مدرسة الملاكمة الكوبية الشهيرة، التي عادةً ما تحتكر معظم الذهب الأولمبي . سونيس فونت، وكما هو متوقع، مضي ليفوز بالذهبية آنذاك، دون أن يغير ذلك أي شيء بالنسبة لعموم السوريين الذين لم يروا إلا بطلاً واحداً آنذاك هو ناصر الشامي، ابن حماة الفقير والمغمور، رياضيٌ نصف محترف كعموم الرياضيين السوريين، تدمع عيناه المتورمتان كطفل ويجوب الحلبة حاملاً علم بلاده منتشياً بإنجاز شبه مستحيل، يتلقي ضربات فونت الهائلة برضي وصمود، يعلم أنه حقق أكثر من الممكن بوصوله إلي هذه المرحلة المُتقدمة .... هذه كانت أثينا في صيف العام 2004

منذ أسابيع قليلة، عاد ناصر الشامي للظهور من جديد، وإن بطريقة مختلفة كل الاختلاف هذه المرة . مصادفةً علي إحدي القنوات الإخبارية العربية، أشاهد الشامي علي عكازات هذه المرة، لا يستطيع تحريك إحدي رجليه، ليس علي حلبة بالطبع، وإنما في غرفة متواضعة الأثاث . يُخبرنا الشامي، كيف اخترقته رصاصات قناص في حماة وهو يحاول إيقاف سيارة أجرة، ويخبرنا كيف ترك قبل ذلك بأيام معسكره التدريبي في دمشق وعاد إلي مدينته حماة بعد أن رفض أن يلبي أمراً بالمشاركة في قمع المحتجين في منطقة القابون بدمشق . اختفي الفرح الطفولي من وجه ناصر، وبدت هزيمته هذه المرة ثقيلة وغير مفهومة . كيف تحول من ملاكم إلي رجل عاجز؟ وبرصاص من؟ لا بأس أن يُهزم في نزال عادل علي حلبة الملاكمة، لكن أين العدالة في هزيمته هذه المرة؟ يداعب ناصر ابنته وهي تجلس علي حجره، يبدو القنوط علي وجهه وهو يستذكر كيف قتل والده خلال مجزرة حماة في مطلع الثمانينات وهو لم يكمل عامه الأول بعد . في عهد الأسد الأب أصبح ناصر، ابن العام، يتيم الأب والمدينة بعد أن قتل أبوه ودُمرت مدينته وسُلبت روحها . في عهد الأسد الابن تحول ناصر الملاكم الشديد البأس إلي رجل عاجز يقتسم، بصحبة رفاق آخرين هجروا مدينة حماة المنكوبة من جديد، شقةً متواضعة في عمّان في طابقٍ رابع لبناء ليس له مصعد .

دور الصورة في الثورة : سلاحنا الأمضي ... إلي حين !

يتعدي المأساوي في قصة ناصر الشامي الفاجعة التي حلت به وبعائلته وبمدينته مرتين، ليتبدي في دلالة سيرته التي تذكرنا بقسوة كيف يعيد التاريخ إنتاج وحشيته عينها في سوريا، وكيف أن تكرار المصائب هذا لا يرحم ضحايا الماضي، ولا يغض الطرف عنهم، لا بل يعاقبهم من جديد، وكأن جراحهم الأولي، التي لم تندمل أو بالكاد فعلت لا تكفي .

مدينة حماة بهذا المعني تمثل غصةً مريرةً لدي عموم السوريين المنتفضين . يمثل ما تعرضت له المدينة خلال العام المنصرم تجسيداً لآمال خائبة أوحت لنا أن سلاحنا الأمضي في ثورتنا الشابة والعصرية هذه : " الصورة " ، ستردع النظام عن تكرار أفعاله الإجرامية التي مارسها في عقودٍ سابقة، وتوجها بمجزرة حماة في العام منذ الشرارة الأولي كان انتصارنا الواضح هو بالصورة، من درعا ودوما ومن ثم بانياس وحمص وسَلميّة وكافة المناطق التي توالت في الانضمام إلي ركب الثورة، بدأت الصور بالتسرب . مُشوشة ومهزوزة ومُرتبكة، ربما، لكنها كانت كافية لتخبرنا بوضوح عن شعبٍ ثار لكرامته أخيراً . كانت تخبرنا أيضاً كيف يتعامل رجال الأمن مع الهاتفين للحرية ومنذ الأيام الأولي للحراك حين كان خيار عسكرة الثورة غير مطروح حتي في مخيلة عموم المنتفضين . كانت الصور المتسربة سندنا الأقوي، ودليلنا علي لا أخلاقية النظام في مواجهة الاحتجاج السلمي . كانت هذه الصور صرختنا إلي العالم التي أعادت لنا صوتنا أخيراً . لكن قبل كل شيء كانت الصور المُسربة أيضاً رهاننا علي اكتساب الحصانة من فتك النظام وانتقامه، فنحن نتربص له بالمرصاد، مهما حاول إخفاء أدوات تنكيله عبر الإنكار حيناً وقطع وسائل الاتصال في أحيانٍ أخري، فهذا العصر بأدواته يشبهنا أكثر، وهذه لم تعد سوريا الثمانينات والنظام لن يجرؤ علي تكرار فظائعه ... هذا ما ظنناه علي الأقل في حينها .

الآن وبعد مرور أكثر من عام علي اندلاع الثورة، ومع عشرات آلاف الصور المُسربة والتقارير المصورة، التي تخبرنا بتفاصيل مكررة - عن أشكال القمع المُمنهج الذي مارسه النظام، يبدو أننا وللأسف الشديد، قد خسرنا رهاننا هذا .

عامٌ كامل انقضي منذ تسرب ذلك الفيديو لمجموعة من جنود وشبيحة النظام السوري، وهم يدوسون علي ظهور شباب مُكبلين في قرية البيضا قرب مدينة بانياس . في حينها صدمت هذه اللقطات العالم، فيما أختار إعلام النظام في كيفية إنكار الفيديو المُسرب واختلاق الروايات الكاذبة عنه، والتي وصلت أحياناً إلي حد التناقض، قبل أن يعود للتسليم وإن بشكل مبطن بحقيقة اللقطات هذه . شعر كلا الطرفين حينها أن المعركة ستُحسم هنا : المنتفضون الذين يمتشقون هواتفهم المحمولة، في مقابل سلطة وطدت لعقود أسس متينة من الرقابة والقيود والتحكم بوسائل الإعلام والاتصال المختلفة .

لم تعتد السلطة علي التعامل مع مثل هذا التحدي الجديد، ارتبكوا وكذبوا بشكل مفرط بالفظاظة والسخف، ثم انتقلوا من الإنكار إلي حرب الصور عبر بث صور مُضادة تناقض روايات الثوار، دون أن يكلل مسعاهم بنجاح ملموس . طبعاً ترافق ذلك كله مع حملات اعتقال وتنكيل بكل من يصور أو يثبت تواصله مع وسائل الإعلام . " مسلحو الموبايل " في المظاهرات كانوا يدركون أنهم الهدف الأول لرجال الأمن . كل ذلك بقي لفترة طويلة يزيد من قناعتنا بأن الصورة هي من ستلجم النظام عن الاستخدام المفرط للعنف، وستردعه عن استعارة ممارسات تعود لحقبة مملكة العتمة والصمت في ثمانينات القرن المُنصرم .

من ردع للعنف إلي وثيقة للألم

لقد تشكل وعينا المشلول بالخوف علي قصص متناقلة شفاهةً عن مجازر النظام وبطشه بمعارضيه، لعل أبرزها ما حدث في مدينة حماة مطلع الثمانينات أثناء الصراع بين النظام وجماعة الإخوان المسلمين . يعرف جميع السوريين من أبناء جيلي والأجيال التي تلت تلك الحقبة، كيف أننا كنا نستذكر تلك المجزرة مستخدمين مصطلحا مبهما ويحمل دلالات مُضلِلة : " أحداث حماة "! استُبدل مصطلح " المجزرة " بمصطلح " أحداث "! لا ذكريات مصورة توثق جرحنا وتسهم في تطهير آلامنا، فقط أحاديث هامسة واعتقادٌ راسخ أن الناس في سوريا وخارجها لو كانوا يعلمون بما كان يجري آنذاك في حماة التي دُكت خلال 27 يوماً كاملاً، لما كانت فصول المجزرة اكتملت !

لكن يا للصدفة المُروعة، في العام 2012 وبتوفر الصور مع الصوت والبث المباشر أحياناً، تم حصار حي بابا عمرو الحمصي وقصفه لمدة 26 يوماً كاملاً، الأدهي أن إحياء ذكري مجزرة حماة في 3 شباط المنصرم ترافق مع مجازر مصغرة في أرجاء متفرقة من سوريا وبوجود الصور ولقطات الفيديو هذه المرة . ليس هذا فحسب، فمن استطاع إغماض عينيه سهواً أو عمداً عن صور الخراب والقتل اليومي في سوريا، متذرعاً بمصداقية الصور المُسربة، فتحهما علي اتساعهما مع مقتل الصحفية الأميركية ماري كولفين، والمصور الفرنسي ريمي أوشليك خلال القصف الأرعن علي حي بابا عمرو . لقد اختلطت دماءٌ أخري مع الدم السوري (الذي لا يبدو غالياً في بورصة الدم العالمي هذه الأيام) ، العالم حينها أبدي امتعاضاً أكبر، أو كان مُضطراً لفعل ذلك علي الأقل .

حتي ساعة كتابة هذه السطور، يدك الجيش النظامي أحياء في حمص وريفها وريف إدلب ومناطق متفرقة من سوريا، صور الأشلاء والشهداء والنزوح المتوفرة وبكثرة باتت خبزنا اليومي، وهي بالمناسبة لا تقتصر علي وسائل الإعلام العربية، فالصور هذه باتت حاضرة في نشرات الأخبار العالمية، لا بل أحياناً علي أغلفة المجلات والصُحف اليومية المرموقة . ولم تعد فقط أصوات الناشطين والثوار السوريين وكاميرات هواتفهم المحمولة هي من ينقل هذه المشاهد المُروعة، بل مراسلين أجانب تسلل معظمهم خلسة إلي الأراضي السورية مثل المصور البريطاني بول كونروي والصحافية الفرنسية أديت بوفييه والصحفي الإسباني خافيير اسبينوزا، وحتي الطبيب الفرنسي جاك

بيريز، أحد مؤسسي منظمة أطباء بلا حدود. القتل في سوريا اليوم إذن لا تعوزه الشهادات ولقطات الفيديو والصور الملونة، على عكس سوريا مطلع الثمانينات حين كان روبرت فيسك شاهداً يتيماً وبالصدفة على خراب المدينة بعد المجزرة.

لم تقطع الصور الطريق أمام التنكيل، ولم تردع آلة قتل النظام كما كنا نمني النفس؟ قد يقول قائل: لا مجال للمقارنة، ففي مجزرة حماة وحدها يتراوح أعداد الضحايا بين 15 و40 ألفاً بحسب تقديرات مختلفة ومتفاوتة، بينما لم تُسجل أعدادٌ كهذه في أي من المناطق الثائرة في سوريا، فوجود الصورة بحسب هؤلاء لن يسمح لدول العالم (حتى المتواطئ منها) أن تكتفي بالصمت أو بالمراقبة. البعض الآخر، وفي السياق نفسه، يشير إلى أن النظام وللأسباب عينها لم يستخدم كل ترسانته العسكرية، ويدللون على ذلك بسلاح الطيران المُستثنى تقريباً إلى الآن، من العمليات العسكرية. قد يكون هذا الرأي وجيهاً، فيما يتعلق بالإمعان في التدمير وعدد الضحايا الناجم عن ذلك. لكني شخصياً، وبعد مرور أكثر من عام، لا أرى فيه حُجة قوية، هذا بالإضافة إلى ضرورة رفض القياس القائم على فداحة المجازر وعدد الضحايا، وكأن قتل سوريٍ واحدٍ يطالب بالحرية لا يعتبر بحد ذاته حدثاً جللاً! كيف إذن الحال وقد تم قتل آلاف السوريين وتهجير واعتقال أضعافهم؟ ناهيك عن عمليات التعذيب وسوء المعاملة أثناء الاعتقال التعسفي، والتي تستمر حتى اللحظة على الرغم من وجود عشرات الآلاف مقاطع الفيديو والصور التي تشهد على هذه الممارسات.

اليوم وبعد مرور أكثر من عام، يبدو أن انزياحاً تراجيدياً قد طرأ على دور الصورة في الثورة. اليوم يتجنب الكثير من السوريين تصفح صور أو فيديوهات الشهداء والقتلى والمجازر، تماماً كما يخفضون صوت التلفاز أحياناً حين يسمعون استغاثات خالد أبو صلاح وهادي العبد الله وآخرين لم يكفوا عن التوثيق وإرسال قصص الموت والرعب، لتتحول شهاداتهم بالنسبة إلينا من مصدر لإحساس غامر بنشوة انتصار على نظام يقتات على التعتيم الإعلامي، إلى شهادات عجز مؤرقة. وهل نستطيع نسيان أن البعض قد دفعوا أرواحهم ثمناً لها؟ هل ننسى رامي السيد النموذج المُذهل للمواطن المُراسل في سوريا، والذي أرشف لنا حصار بابا عمرو حتى سقط هو نفسه ضحية للقصف الوحشي؟ أكاد أجزم أن رفاق رامي ممن لا يزالون أحياء أو طلقاء، يعلمون علم اليقين اليوم أن لا كاميرات هواتفهم المحمولة ولا حساب السكايب سيحميهم من رصاص قناص يتململ على أحد الأسطحة، أو قذيفة كادت تصدأ في مخازن الجيش قبل أن تجد طريقها نحو حي أو قرية سورية هنا أو هناك. لكنهم، وعلى الرغم من ذلك، مستمرون لا يحيدون عن هدفهم.

بعد مرور عام هل يعلمون أن صورهم المُسربة وشهاداتهم الحية لم ولن تردع آلة القتل؟ أغلب الظن: نعم. هل يتعللون بالأمل؟ ربما! لكنهم بكل تأكيد يعلمون أنهم يوثقون ألمنا وعجزنا وعجز العالم بأسره، وتخاذل بعضه وتواطئه. يعلمون أيضاً أنهم يوثقون للمُستقبل، ولأجيال نريد لها أن تعيش في سوريا مختلفة، ليخبروهم كيف ضحى سوريون بسخاء، وكيف دفعوا ثمناً باهظاً في سبيل هذا المُستقبل.

الصورة المُسربة: الطوباوية في مواجهة متاهات السياسة

ولكننا عندما ظننا أن توثيق ما يحدث حولنا وبثه إلى الخارج، سيردع النظام عن تكرار أفعال قديمة (ولا أقولها دفاعاً عن حلم تبدد بعضه)، لم نكن في الحقيقة نعول على الصورة بمعزل عن ما ستحدثه من تأثير وردود فعل سياسية وشعبية. بكلمات أخرى كان تعويلاً على ضمير أخلاقي إنساني ظننا بإمكانية وجوده الفاعل في زمن الثورات العربية. هنا جوهر المشكلة، أو جنوحنا الطوباوي ربما.

اليوم يبدو جلياً أن الإحراج أو الردع الذي يمكن أن تسببه الصور المُسربة للنظام لا يساوي شيئاً أمام مكالمة هاتفية من موسكو أو طهران أو واشنطن أو غيرها، فعواصم القرار هذه (أقله في الشأن السوري) لا يبدو أنها تكترث كثيراً بهذه الصور، وإن تعاملت معها بالطبع بأشكال مختلفة عن النظام السوري الذي دأب على إنكارها جملةً وتفصيلاً. وحتى إن تأثرت قراراتها بهذه الشهادات المُسربة والوثائق المُزعجة في إلحاحها، فإن هذا التأثير يبقى، حتى اليوم على الأقل، هزيلاً بالمقارنة مع ما تمليه مصالح هذه الدول والمنطق البراغماتي الذي يتحكم بسياساتها.

فشل الصورة في ردع النظام إذن هو فشلٌ لا تتحمل فيه الصورة المُسربة والممتزجة بدماء مصوريها في بعض الأحيان أية مسؤولية، الأجدر بالقول إنه فشل أخلاقي مدوٍ لكل من تجاهلها، ولكل من كان يمكنه التأثير لوقف نهر الدم في سوريا. وعليه فإني اليوم أميل للاعتقاد أن أحد أهم مبررات اندفاعنا للتصديق بأن بعض ممارسات النظام لا يمكن تكرارها في عصر الصورة، تعود إلى مبالغة في سرديات الماضي التي صورت أفعال النظام الوحشية وكأنها دُفنت فقط بسبب غياب الصورة، على حساب اقتضاب مُريب في ذكر تفاصيل أخرى مثل معرفة وتواطؤ قوى دولية وإقليمية وحتى شرائح داخلية في الجريمة. هذا يذكرنا من جديد بحجم المسؤولية التي تقع على كاهل النظام بالتشارك مع مراكز صنع القرار العالمية والإقليمية بالطبع، في إبقاء تلك الحقبة السوداء طي الكتمان، فلا النظام أكترث يوماً بالعمل من أجل مصالحة داخلية ولو شكلية، ولا المُطلعون على الأسرار في عواصم ذات صلة، أفشوا لنا بخفايا تلك المرحلة. اليوم وفي ظل ما يجري الآن، يصعب التصديق أن كل ما حدث في حماة مطلع الثمانينات كان خافياً عن بعض السياسيين والقادة حول العالم، أو حتى شرائح من السوريين في داخل سوريا. بالطبع لم يكن بالإمكان يومها معرفة طبيعة الأهوال وحجم الفاجعة، كما هو الحال اليوم، فهذا امتياز الصورة المُسربة ووسائل الاتصال الحديثة. لكننا بالغنا أيضاً في نسب كل تلك الأفعال الوحشية إلى الستار الحديدي الذي فرضه النظام آنذاك على حركة المعلومات. اليوم نعلم علم اليقين، أن أفعالاً كهذه لا تتم بدون تواطؤ بل ومباركات أحياناً.

خسارة الرهان على قدرة الصورة في خلق ردع حاسم ومنع إعادة إنتاج نفس نهج العنف المُفرط الذي استخدمته السلطة مع شعبها في أزمنة ماضية، تعني أولاً وأخيراً هزيمة أخلاقية للإرادة السياسية الدولية، ولفرقاء سياسيين إقليميين ودوليين ساندوا النظام سراً أو جهراً، كما تعني أيضاً تخاذل شرائح من السوريين. إنها بالتأكيد ليست هزيمة لرامي السيد ومظهر طيّارة وحسين غرير ومازن درويش وداني عبد الدايم وآلاف غيرهم من مواطنين مراسلين وصحفيين ومدونين شهداء أو معتقلين، أو سائرين على هذا الدرب.

الصورة والمُستقبل: بين الإلهام والأمل وذاكرة جراح لا تندمل

وإن خاب جزءٌ كبير من آمالنا المعقودة على منع النظام من الذهاب بعيداً في عنفه، من خلال نجاحنا في تسريب الصور والمعلومات وتحدي الحصار الإعلامي، فلا بد لنا الآن من مقاربة الموضوع بشكل أكثر واقعية. إن الإصرار على المضي قدماً في دحض بروباغندا النظام وتوثيق كل ما يجري قدر المُستطاع، هي مهمة تتجاوز في طموحها محدودية تأثيرها الراهن، لتتطلع إلى مستقبل (يأمل السوريون أن يكون قريباً) ستلعب فيه هذه الصور والقصص والأفلام دوراً محورياً في كتابة تاريخ مرحلة مفصلية من حياة بلد. وربما تساهم بالرغم من قسوتها وكم الوجع الذي تختزنه في صياغة عقد اجتماعي ومدني متين للدولة المنشودة. يبدو التحدي هنا عظيماً، بين أن تكون هذه الذاكرة البصرية ذاكرةً للألم الجمعي نتقاسمه جميعاً كخطوة لا مفر منها لمداواة جراح عميقة، أو أن تكون هذه الذاكرة، مرجعاً مُريراً للعبث بهذه الجراح وجعلها نازفة على الدوام.

وإن كانت الصورة قد غُيّبت قسراً في العقود الماضية، فغُيبت معها العدالة وأُخفيت الجرائم والأدلة، لينجح المستبد في تشويه الذاكرة والتاريخ وإن إلى حين، فإن الإصرار على بث الصورة التي توثق المُعاناة وتخترق ستاراً حديدياً يتآكل رويداً رويداً، يعني فيما يعنيه هزيمة نظام ينتمي إلى الماضي ويعاكس مسار التاريخ، ويستمد أسباب بقائه فقط من استخدام مفرطٍ للقوة ومن تعقيداتٍ إقليمية لطالما تلاعب بها وعاش عليها. إن استمرار تسرب الصور بكل التضحيات الجليلة التي تجعل ذلك ممكناً، فيه انتصارٌ لروح الثورة الشابة والطموحة والعصرية والشُجاعة أيضاً.

قد يصح القول (مجازاً) أن ثقباً أسود ثقيل الظل قد نجح في الماضي القريب في حجب جزءٍ من ذاكرتنا، فدُفنت بصمت آلام حماة وغُيبت صور والد ناصر الشامي وآلافٌ غيره سقطوا بفعل آلة قمع همجية، كما يصح القول بفشل الصورة المُسربة الآن في منع تكرار معاناة مدينة مازالت جراحها غائرة، وفي حماية ناصر الشامي الذي ترعرع يتيماً. إلا أن الرهان يبقى في قدرة هذه الذاكرة البصرية المُتسربة من قبضة الجلاد على تأسيس مستقبل لن نسمح فيه بإعادة إنتاج آليات العنف عينها، ولا بوجود سلطة متغطرسة ومستبدة فوق كل قانون. الرهان هو أن لا تبقى هذه الصور وثيقةً لألمٍ لا ينتهي، ومرجعاً لتغذية ضغائن قد تودي بما تبقى من تماسك النسيج الاجتماعي السوري، الذي أنهكته عقودٌ طويلة من سياسات سلطة شمولية ومُستبدة.

الأمل المعقود هو أن يبقى السوريون أوفياء لتضحيات وشجاعة من سرب هذه الوثائق المصورة، ففي سوريا اليوم، تستمد الشهادات والوثائق البصرية قيمتها أولاً من شجاعة من يصورها ونبل مقاصدهم، هذا دينٌ علينا يجب أن لا ننساه رغم هول ما تنقله لنا هذه الصور.

الأمل المُتبقي إذن بأن يرقد والد ناصر الشامي قرير العين، لأنه يعلم أن حفيدته ستحظى بسوريا أفضل من التي حظي بها ابنه اليتيم، الأمل بأن تعيش حفيدته في مدينة تدفن آلامها سوية مع سجانها وتعيش دون جراح جديدة.

أخبار الأدب 29 / 4 / 2012

لقد كنت مستعدّة لأن أفقد فرداً من عائلتي، ولكن ليس الجميع

في إحدى المشافي اللبنانية، يروي ضحايا الانتفاضة السورية قصص الفقدان والبلاء

■ لافدي موريس Loveday Morris

"يوجد بابان فقط لبابا عمرو: أحدهما يقود إلى الموت والآخر إلى الحرية"، هذا آخر ما كتبه منار، تجده مخطوطاً بشكل مضطرب بقلم تخطيط أسود على قطعة ورق حمراء معلقة على الجدار المقابل لسريره في المشفى.

لقد شجّعه الأطباء على كتابة الشعر لمساعدته في التغلّب على صدمته النفسية، ولكن من الواضح أن السوري البالغ من العمر 17 عاماً أبعد ما يكون عن التعايش مع ما حصل معه في الحيّ الذي كان يعيش فيه في حمص. "لا أستطيع تخيل المستقبل" يقول الشاب اليافع وهو يحدّق في المساحة الخالية تحت أغطيته حيث يجب أن تكون قدمه اليمنى.

الأربعون سريراً في الطابق الثالث من مشفى طرابلس الحكومي في لبنان ممتلئة حصراً بالسوريين المصابين جرّاء الصراع الدائر في بلادهم، فأصبحت تُلقّب بالمشفى السوري الميداني. إلى هنا تأتي سيارات الإسعاف بالمصابين الأكثر خطورة الذين يصلون إلى الحدود اللبنانية بعد المجازفة بحياتهم عبر نقاط التهريب الشديدة الخطورة.

وقد قالت اللجنة الدولية للصليب الأحمر الأسبوع الماضي إنها كثّفت عملياتها في لبنان بعد زيادة كبيرة لأعداد السوريين المصابين بجروح خطيرة والذين دخلوا البلاد. وتم إجلاء أكثر من 300 ضحية حتى الآن هذا العام، مقارنة مع 177 خلال عام 2011. من مقاتلي الجيش السوري الحر إلى النساء والأطفال، هناك حلقة مألوفة في قصص أولئك المرضى في طرابلس، إلا أن كل قصة على حدا تفطر القلب.

أسرع منار لتخليص الجرحى بعد سقوط قذيفة هاون، ولكن جندياً سورياً أطلق العنان لمدفعه الرشاش، لقد أصيبت قدمه اليمنى بإصابات بالغة بالرصاص الكثيف مما أدّى إلى بترها من فوق الركبة.

في الغرفة المجاورة لمنار يقبع خالد البالغ من العمر 15 عاماً مشلولاً بعد تلقيه رصاصة في ظهره، لم يخبره جدّاه بعد أن إصابته دائمة، يقول خالد: "آمل أن أستطيع المشي مجدداً، وأن يموت ذلك الكلب بشار".

"سنقضي عليه من أجلك"، يجيب ضابط في الجيش السوري الحر في الرابعة والعشرين من العمر يرقد في السرير المجاور، يخطط هذا الضابط للعودة إلى القتال بعد بضعة أسابيع عندما يلتئم الجرح الذي أحدثته رصاصة في يده اليمنى.

على الرغم من أنهم يتلقون رعاية طبية عالية المستوى لدى وجودهم في المشفى في طرابلس، يشعر الأطباء بالقلق على مستقبل مرضاهم بعد خروجهم من المشفى. توجد تدابير قليلة من أجل إعادة التأهيل طويلة الأمد، فسينضم هؤلاء المرضى إلى صفوف 24 ألف لاجئ سوري في لبنان يصارعون من أجل البقاء في ظل مساعدات حكومية ودولية شحيحة. أقل من نصفهم مسجّل رسمياً لدى وكالة الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، فيما يعتمد الأغلبية على كرم السكان المحليين والجوامع والمؤسسات الإسلامية لتجنّب النوم في الشوارع.

بالنسبة إلى الدكتور أحمد أبو جواد هناك رابط عميق يجمعه مع مرضاه، لقد عمل الطبيب السوري في هذا الجناح لمدة 40 يوماً بعد الفرار من مشفى بابا عمرو الميداني خلال الحصار سيء الصيت لذلك الحي في حمص، والذي امتد شهراً. وعندما سُئل عن أسوأ حالة شاهدها أشار برأسه إلى الغرفة رقم 316، "إن قصتها... صعبة جداً" يقول الطبيب.

هناك تتجاهل "حسنة" جراحها تماماً، "لقد فقدت قدمي، ولكن هذا الأمر لا يزعجني، هناك أشياء أخرى فقدتها تعني لي أكثر". تصف "حسنة" كيف هربوا، هي وعائلتها، من قريتهم في ريف حمص، عندما سمعوا بأن الجيش السوري على وشك شنّ هجوم، بعد أيام كانوا في طريقهم عائدين إلى منزلهم عندما أصابت قذيفة دبابة دراجتهم النارية.

"لقد كان زوجي يقود الدراجة وفي حضنه جلس ابني ذي الثلاثة أعوام، بينما جلست أنا في الخلف أحضن ابنتي ذات السنة الواحدة"، تقول حسنة، "لقد كان هناك معدن وغبار يتطاير، ورأيت رأس ابنتي مفتوحاً أمام عيني، لقد أحسست بدقة قلبها الأخيرة، لن أنسى تلك اللحظة طالما حييت".

لقد دُسفت قدما ابنها ومات في مكان الحادث، بينما قضى زوجها جراء إصاباته خلال الرحلة إلى لبنان، تقول حسنة "لقد كنت مستعدّة لأن أخسر أحد أفراد أسرتي خلال الثورة، تجهّز نفسك لأمر كهذا، ولكنني لم أكن مستعدّة لأن أخسرهم جميعاً".

'I was prepared to lose someone in my family، but not all of them'

عن موقع المترجمون السوريون الأحرار

لصديق زنزانتي.. الشهيد نور زهرة..الرجل البخاخ

■ تيسير كريم تيمور

ترجّل عن جداره..
ففي بلادنا الجدار فرساً..
الجدار..
سجنا..
شاهدة قبر أو منصة إعدام..
ترجّل قبلَ أوانه..
فهطل الحبر على الجدران..
وهطل المطر أزرقاً..
حزيناً كعينيه..
وحيداً كوجوهنا..
كان نحيلاً..
مرتجفا..
راعفاً حين أعلن رجولته..
هم مرّوا صامتين أمام جدرانك..
ومررت أنت صاخباً أمام سياطهم..
اليوم أتممت إعلانك الأخير..
اليوم كتبت حَرفكَ
على قبورنا
ومضيت إلى بيتك..!!
اليوم ولدتَ كالخرافة..
حادّاً..
و جارحاً..
كنصل السيف..
كقلم الرصاص..

نور زهرة.. الرجل البخاخ...
نَمْ قرير العين يا بشار الأسد..
نَمْ..
فنور زهرة قد استشهد..
لكن تذكر..
أن الجدران في بلاد النار والحديد..
ستلتهمك يوماً..
كما التهمتنا سجونك وبنادقك..
عندها سأكتب على جدار قصرك..
من هنا مرّ أصدقاء نور زهرة..

قامت قوات الأمن بعملية اغتيال خسيسة للشاب نور حاتم زهرة الذي كان يلقب بالرجل البخاخ في منطقة المهايني الواقعة بين منطقتي كفرسوسة وداريا وتم خطف أحد الشباب الذي كان برفقته الشاب مصاب و كان الشهيد يسعفه يذكر أن الشهيد رحمه الله قد أتعب الأمن والشبيحة بكتابات الثورة والحرية على حيطان كفرسوسة وكان الشهيد البالغ من العمر 23 عام قد اعتقل في فرع الأمن العسكري سرية 215 لمدة 56 يوم تعرضها من خلالها للكثير من التعذيب.

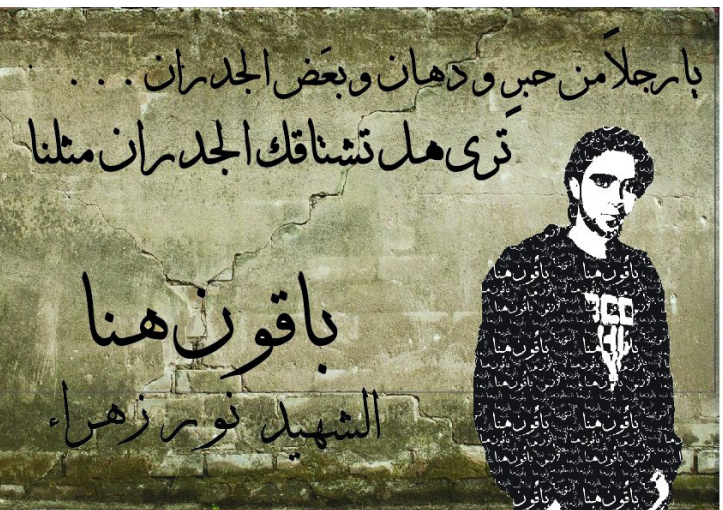

قانـــون التوقيـــع الالكتـــروني

■ ياسر مرزوق

أقـر مجلـس الشـعب فـي جلسـته المنعقـدة بتاريـخ 2009/2/19م القانـون رقـم /4/ "التوقيـع الالكترونـي وخدمـات الشبكة" والذي يعتبر أول تشريع سوري في سلسـلة قوانين تغطي التطور التكنولوجي لتنظيـم المعامـلات الإلكترونيـة، حيـث يعتبـر التوقيـع الإلكترونـي مـن أهـم مقومات نجـاح عملية التجـارة الإلكترونية والحكومـة الإلكترونيـة، وحجـر الزاويـة والقاسم المشـترك الأعظم في المعاملات الإلكترونيـة، وقد حددت المـادة الأولى من القانون المذكور التعريفات التالية:

التوقيـع الالكترونـي Electronic signature: جملـة بيانـات تُـدرج بوسـيلة إلكترونيـة على وثيقـة الكترونية وترتبط بهـا، وتتخذ شـكل حروف أو أرقـام أو رموز أو إشـارات أو أي شـكل آخر مشابه، ويكون لهـا طابـع متفرد يسـمح بتحديد شـخص الموقّع ويميزه عن غيره وينسب إليه وثيقة الكترونية بعينها.

بيانـات إنشـاء التوقيـع الالكترونـي Electronic signature-creation data: عناصـر متفـردة خاصـة بالموقـع وتميزه عن غيـره، وتُسـتخدم في إنشـاء التوقيع الالكتروني.

منظومـة إنشـاء التوقيـع الإلكتروني Electronic signature-creation device: وسـيلة أو نظـام الكتروني أو برمجيـات تستخدم لإنشاء التوقيع الالكتروني.

الموقّـع: شـخص طبيعـي أو اعتباري حائـز بيانـات إنشـاء التوقيـع الالكتروني، ويوقع أصالة عن نفسه أو نيابة عن غيره.

المرسـل: شـخص طبيعي أو اعتباري يقوم بنفسـه أو بوسـاطة من ينيبه قانوناً باستخدام وسـيلة الكترونية لإرسال وثيقة الكترونية.

المرسـل إليـه: شـخص طبيعـي أو اعتباري قصد المرسـل أن يسلمه أو يوصل إليـه وثيقـة الكترونية باسـتخدام وسـيلة الكترونية.

شـهادة التصديـق الالكترونـي Electronic certificate: شـهادة اعتمـاد تصدر عن جهة مختصة مرخص لها، الهدف منهـا إثبـات عائديـة توقيـع الكتروني إلى شـخص طبيعـي أو اعتبـاري معين، سـنداً للارتباط بين الموقع وبيانات إنشاء التوقيع الالكتروني المعتمدة الخاصة به.

التوقيع الالكتروني المصدّق Certified electronic signature: توقيـع الكترونـي مصدق بشهادة تصديق الكتروني.

مُزود خدمـات التصديـق الالكتروني Electronic certification service provider: جهة مختصة مرخص لها بإصدار شـهادات التصديق الالكتروني، وتقديم أي خدمات أخرى تتعلق بذلك.

وقـد وسـع المشـرع السـوري نطـاق تطبيـق التوقيـع الإلكترونـي حيث يشـمل جميـع المعامـلات التـي يجـوز إتمامهـا إلكترونيـا، وهـي المعامـلات المدنيـة والتجارية والإدارية شـرط أن تكون موقعة إلكترونيـا وفقـا للشـروط والضوابـط التـي وضعها القانـون من خـلال تعليماته التنفيذيـة. فأعطـى للصـورة المنسـوخة على الـورق مـن الوثيقـة الإلكترونية ذات الحجيّة في الإثبات المقـررة لهذه الوثيقة، بالقـدر الذي تكـون فيها مطابقـة للأصل، مـا دامـت الوثيقـة الإلكترونيـة والتوقيـع الإلكتروني المصدّق المدرج عليها موجودة علـى الحامـل الإلكتروني الـذي أخذت عنه الصـورة المنسـوخة، وتطبّـق في شـأن إثبات صحـة الوثائق الإلكترونية الرسـمية والعادية والتواقيع الإلكترونية، فيما لم يرد بشأنه نص في هذا القانون، وفي النواظم والضوابـط التي يصدرهـا الوزير، الأحكام المنصـوص عليهـا فـي قانـون البيّنـات " رقم 359 تاريـخ 1947/6/10". وذلك وفق منطوق المادة الثانية من القانون المذكور:

مادة 2 ـ

أ ـ للتوقيـع الالكترونـي المصـدّق، المدرج علـى وثيقة الكترونيـة، في نطاق المعاملات المدنية والتجارية والإداريّة، ذات الحجية المقـرّرة للأدلة الكتابية في أحكام قانون البينات، إذا روعي في إنشائه وإتمامه الأحكام المنصوص عليها في هذا القانون، والنواظم والضوابط التي يصدرها الوزير، بنـاء على قـرار مـن مجلـس إدارة الهيئة، المنصـوص على إحداثها في الفصل الثالث من هذا القانون.

ب ـ للصـورة المنسـوخة علـى الورق مـن الوثيقـة الالكترونيـة ذات الحجيّة في الإثبـات المقـرّرة لهـذه الوثيقـة، بالقـدر الـذي تكون فيها مطابقـة للأصل، ما دامت الوثيقـة الالكترونية والتوقيـع الالكتروني المصـدق المـدرج عليهـا موجـودة علـى الحامل الالكتروني الذي أخذت عنه الصورة المنسوخة.

ج ـ تطبق في شأن إثبات صحة الوثائق الالكترونيـة الرسـمية والعاديـة والتواقيع الالكترونيـة، فيما لم يرد بشـأنه نص في هذا القانون، وفي النواظم والضوابط التي يصدرهـا الوزير، بناء على قرار من مجلس إدارة الهيئـة، الأحكام المنصوص عليها في قانون البيّنات.

. أمـا عـن الشـروط الواجـب توفرها لاعتبـار التوقيـع الالكتروني مصـدق، فقد نصـت المـادة الثالثـة علىٰ مـا يلـي: يعدّ التوقيع الالكترونـي المصدق، المدرج على وثيقـة الكترونيـة، مسـتجمعاً للشـروط المطلوبة للحجيّة في الإثبات، وهي:

1 ـ ارتبـاط التوقيع بالموقّع وحده دون غيره، وكفايته للتعريف بشخص الموقّع.

2 ـ سـيطرة الموقّـع وحـده دون غيره علـى منظومة إنشـاء التوقيـع الالكتروني المستخدمة.

3 ـ ارتباط التوقيع الالكتروني بالوثيقة الالكترونية ارتباطاً لا يمكن بعده إحداث أي تعديل أو تبديل على الوثيقة دون ظهور أثر قابل للتدقيق والكشف

نطاق تطبيق القانون

تسـري أحـكام هـذا القانـون علـى المعامـلات المدنيـة والتجاريـة المحـررة والموقّعـة إلكترونيـاً، والمعاملات المحرّرة والموقّعـة إلكترونيا التـي تعتمدها الجهات العامة، باسـتثناء ما ينص عليـه بتعليمات خاصـة تصدر عن مجلس الـوزراء، وبعض الأوضـاع القانونية التـي يجب مراعاتها في إبـرام بعـض التصرفـات القانونيـة، وكل مخالفـة في ذلـك يبطل التصـرّف بطلانا مطلقـاً علـى اعتبـار أن الشـكلية ركـن للانعقاد وليسـت شـرطا للإثبـات، وبعبارة أخـرى لتعلقهـا بالنظـام العـام وهـي كما يلـي: الأوراق المالية، المعامـلات المتعلقة بالأحوال الشـخصية من زواج وطلاق وإرث وحتى الوصايا، معاملات التصرّف بالأموال غيـر المنقولة، ومن ذلك الوكالات المتعلقة بها وسندات ملكيتها وإنشاء الحقوق العينية عليهـا باسـتثناء عقـود الإيجـار الخاصـة بهـذه الأمـوال، لوائح الدعـاوى والمرافعات وإشـعارات التبليـغ القضائيـة وقـرارات المحاكـم. " وهنا كان المؤمل من التشـريع الحالي أن يسـري على اللوائـح القضائية و التبليـغ القضائي لمـا لهذا الإجـراء من أثر إيجابـي علـى أعمـال السـلطة القضائية، وعلى معاملات المواطنين.

هذا وقد تضمّن القانون: إحداث هيئة عامـة ناظمـة ذات طبيعـة خاصة تسـمّى الهيئـة الوطنيـة لخدمـات الشـبكة تتمتـع بالشـخصية الاعتبارية والاسـتقلال المالي والإداري. تعمـل هـذه الهيئـة علـى إدارة وتنظيم وتحديد معايير التوقيع الإلكتروني وإصـدار وتجديـد التراخيـص لمزاولـة الأنشـطة في مجال المعاملات الإلكترونية، إضافة إلـى أن هذه الهيئـة ملزمة بتقديم الخبـرة القانونيـة للمحكمـة علـى إصدار الأحكام القضائية الصحيحة.

تتولى الهيئة القيام بالمهام التالية:

1 ـ تنظيـم نشـاطات تقديـم خدمات التوقيع الالكتروني، وغيرها من النشـاطات في مجال المعاملات الالكترونية.

2 ـ تحديـد وضبـط مواصفـات المنظومـات الخاصة بالتوقيـع الالكتروني، واعتماد تلك المنظومات.

3 ـ تحديـد نواظـم وضوابـط إصـدار شهادات التصديق الالكتروني.

4 ـ منـح وتجديـد وتعليـق وإلغـاء التراخيـص اللازمة لمزاولـة أعمال خدمات التوقيـع الالكترونـي، وفقـاً لأحـكام هـذا القانون وسـائر القوانين والأنظمة النافذة، ومراقبة الالتزام بشروط تلك التراخيص.

5 ـ إدارة النطاق العلوي السـوري على شبكة الانترنت والسجل الخاص به، وتحديد السياسـات والقواعـد الناظمـة لتسـجيل الأسماء تحت هذا النطاق.

6 ـ منـح وتجديـد وتعليـق وإلغـاء التراخيص للمسـجلين المخوّلين بتسجيل الأسـماء تحـت النطـاق العلـوي السـوري، والتحقـق مـن التزامهم بالقواعـد الناظمة لذلـك، وفقـاً لأحكام هـذا القانون وسـائر القوانين والأنظمة النافذة.

7 ـ إدارة عمليـات تخصيـص عناويـن الانترنت في الجمهورية العربية السـورية، والتنسـيق مع السلطات الإقليمية والعالمية المختصة لأجل ذلك.

8 ـ وضع المواصفات والمعايير الخاصة بأمـن وحماية الشـبكات ومواقـع الانترنت، والإشراف على حسن الالتزام بها.

9 ـ وضـع المعايـير الخاصـة بمواجهة حـالات الطـوارئ علـى الانترنـت أو غيرها مـن الشـبكات المعلوماتيـة والحاسـوبية، والإشـراف على حسـن الالتزام بها، وتأليف فرق عمل للتصدي لهذه الحالات.

10 ـ وضـع النواظـم والضوابـط والمعايـير الخاصـة بعمـل المواقـع علـى الانترنت أو غيرها من الشبكات المعلوماتية ولاسـتضافة المواقع والتطبيقات والبيانات علـى الانترنـت فـي الجمهوريـة العربيـة السورية، والإشراف على حسن تطبيق تلك النواظـم والضوابـط لدى أصحـاب المواقع والجهات المستضيفة لها.

11 ـ اسـتضافة المواقع على الانترنت أو الشـبكات الداخليـة فـي المؤسسـات واستضافة التطبيقات والبيانات، وذلك لمن يرغب من الجهات العامة، وتقديم المشورة والدعم التقني اللازم لها.

12 ـ فـض النزاعـات بيـن المرخّص لهـم فـي مجالات عمـل الهيئة عـن طريق التحكيم، وفق القوانين والأنظمة النافذة.

13 ـ تلقي الشكاوى من المستخدمين النهائيين في مجالات عمل الهيئة، واتخاذ ما يلزم بشأنها.

14 ـ التنسـيق مـع المنظمـات الدولية المعنية بنشاطات الهيئة.

15 ـ اقتراح الخبراء التقنيين في مجال التوقيع الالكتروني إلى الجهات القضائية.

16 ـ توفير التدريب والمشورة التقنية للأشـخاص والجهـات المعنيّـة بنشـاطات الهيئة.

17 ـ إصـدار تقاريـر دوريـة وتقديـم إحصـاءات ومؤشـرات وبنـاء قواعـد بيانات حول خدمات الشبكة والخدمات الالكترونية، وحول مواقع الانترنت تحت النطاق العُلوي السوري، وأية مواضيع أخرى تقع في مجال عمل الهيئة.

18 ـ تشجيع ودعم المشاريع في مجال عمل الهيئة.

19 ـ إقامـة المعـارض والمؤتمـرات والنـدوات المتخصصـة فـي مجـال عمـل الهيئة.

20 ـ إبـداء الـرأي فـي أيـة مواضيـع يعرضها الوزير في مجال عمل الهيئة.

وقد ألحق المشـرع السـوري بالقانون رقـم /4/ قانون الجرائـم الالكترونية للحد من أعمال الغش والتدليس والتلاعب " راجع قانون الجرائم الالكترونية، سوريتنا "

أما العقوبات الواردة لتأييد هذا القانون فقد نصت المادة /31/ على ما يلي:

مـع عـدم الإخـلال بـأي عقوبة أشـد منصوص عليها في أي قانون آخر نافذ:

أ ـ يعاقـب بالحبس من سـنة إلى ثلاث سـنوات وبالغرامـة من خمسـمئة ألف ليرة سـورية إلى مليوني ليرة سـورية، كل من قام قصداً بارتكاب أحد الأفعال التالية:

1 ـ إصدار شـهادات تصديق الكتروني أو تقديـم أي خدمـات تتعلـق بالتوقيـع الإلكترونـي للعمـوم دون الحصـول علـى الترخيص اللازم لذلك من الهيئة.

2 ـ تزويـر أو تحريـف توقيع إلكتروني أو بيانات أو منظومة إنشاء توقيع إلكتروني بأي طريق كان.

3 ـ اسـتعمال توقيع إلكتروني مزور أو منظومة إنشـاء توقيع الكتروني محرفة أو شـهادة تصديق الكتروني مزورة، مع علمه بذلك.

4 ـ التوصـل بأيـة وسـيلة كانـت الى الحصول بغير حق على بيانات إنشاء توقيع إلكتروني أو منظومة إنشاء توقيع الكتروني أو وثيقـة إلكترونية، أو اختـراق أي منها أو اعتراضها أو تعطيلها عن أداء وظيفتها.

5 ـ تقديم أوراق أو معلومات مزورة أو غيـر صحيحة بقصد الحصول على شـهادة تصديـق إلكتروني أو تعليـق العمل فيها أو إلغائها.

6 ـ إفشـاء أية بيانات تتعلّق باستخدام التوقيع الإلكتروني أو التحقق من عائديته، أو اسـتخدامها في غير الغرض الذي قدمت مـن أجله من قبل أحـد العاملين لدى مزوّد خدمـات التصديـق الإلكترونـي، ويكـون المـزود في هذه الحالة مسـؤولاً بالتضامن عـن الوفاء بما يحكم به العامل من غرامات إذا ثبـت أن إخـلال المسـؤول عـن الإدارة الفعلية للمزود بواجباته قد أسهم في وقوع هذه الجريمة.

ب ـ تكـون العقوبة الأشـغال الشـاقة المؤقتـة إضافة إلى الغرامـة المذكورة في الفقـرة السـابقة إذا ارتكب تزويـر التوقيع الالكتروني أو اسـتعمل التوقيع المزور على وثيقة رسمية.

ج ـ وفـي جميع الأحوال، يحكم بنشـر حكـم الإدانـة فـي جريدتيـن يوميتيـن واسعتي الانتشار على الأقل، وعلى شبكات المعلومـات الإلكترونيـة المفتوحـة، وذلك على نفقة المحكوم عليه.

الأمير مصطفى الشهابي 1893 - 1968

■ ياسر مرزوق

عام 1940صدرت مجلة (دمشق) في دمشق، وكانت مجلة شهرية، أدبية، سياسية، اجتماعية، اقتصادية وجمعت على صفحاتها أشهر الأقلام السورية في أربعينيات القرن الماضي وجميعهم من الأعلام المعروفين مثل "محمد أسعد طلس ومحمد كرد علي وسليم الجندي والدكتور مرشد خاطر والدكتور حنين شنيارة وشاكر الحنبلي والدكتور جميل صليبا وعز الدين التنوخي وشفيق جبري والشيخ عبد القادر المغربي والأمير مصطفى الشهابي وغيرهم. وكذلك جمعت على صفحاتها الأقلام الواعدة والتي ساهمت في بداية نشاطها العلمي والثقافي وأصبحت فيما بعد من الأعلام المعروفين مثل وداد سكاكيني وصلاح الدين المنجد وعبد الوهاب الأزرق وغيرهم. وقد صدر من هذه المجلة ستة أعداد وتوقفت بعد ذلك لأسباب تقنية، أي إنها استمرت ستة أشهر فقط. وجاء في العدد السادس الصادر في 1940/6/1 وهو العدد الأخير من هذه المجلة في الصفحة (12) مقال بقلم الأمير مصطفى الشهابي تحت عنوان (حياة الحاكمين) ما يلي:

"لفظة الحاكم ضخمة في مبناها وفي معناها سواء أدلت على الوالي الذي يتصرف في شؤون الرعية أم على القاضي الذي يقضي بالحق بين المتخاصمين، وقد اجتمعت منذ أيام إلى أحد حكام المقاطعات وكان يلي أمور مليون من البشر فسألته فضولاً عن طراز معيشته وعن مبلغ السعادة فيها فأجابني بحديث شجي حفظت منه الجمل الآتية، قال: حكم الناس يا صاح معناه حمل هموم الناس فلا يغرنك ما يغشو على هيئة الحاكمين من آثار النعمة، ولا تظنن أنهم يسعدون بما يبدو عليهم من جاه عريض ومال غزير وعيشة لينة طيبة فإن ما بطن من أمور خلاف ما يبدو للملأ وما استتر من أشجانهم فوق ما استعلن من أفراحهم والأمثلة على ذلك لا يحصيها العد. ويظن بعضهم أن الحاكم سعيد لكثرة ما يدعى إلى المآدب والنوادي والحفلات المختلفة حيث له المقام الأول وحيث يحتفي به الداعون ويكرمون وفادته ويقفون في خدمته، وهذا الظن بعيد عن الحقيقة لأن الحاكم يعد وجوده في هذه الأماكن واجبا لابد من القيام به، ويحسب نفسه مسخرا لإرضاء من يدعوه لوجاهتهم إما لأن الحفلة مدرسية أو خيرية أو رياضية أو غير ذلك، ومتى كثرت هذه الاجتماعات تصبح داعية للسأم والملل، والإنسان يسأم الجنة إذا طال مكوثه فيها فكيف إذا اضطر الواجب إلى سماع خطيب سخيف وشويعر أسخف وصبيان يمثلون رواية أو متصابية تظن نفسها في الضرب على آلات الطرب في مرتبة إسحاق الموصلي أو معبد أو بتهوفن ومع هذا فالحاكم مطالب بإطراء ما يسمع وما يراه تشجيعا وترغيبا "

والأمير الشهابي حالةٌ إبداعية خاصة تعيدنا إلى عهد العلماء العرب الأوائل الذين لم يتركوا باباً من أبواب العلوم إلا دخلوه، فنحن في ترجمتنا اليوم أمام عالم وأديب وسياسي مفوه، فهو سليلُ أسرةً الشهابيين، التي حكمت جبل حوران منذ سنة 1172م، وذلك أيام الملك العادل نور الدين محمود الزنكي. ثم انتقلت بعد ذلك لمدينة حاصبيا الواقعة في وادي التيم في لبنان، والتي اتخذوها مركزاً لحكمهم حتى سنة 1870م، وفي أوج نفوذ هذه الأسرة أضحت الحاكم الفعلي للجبل والساحل اللبناني، ويدرَس تاريخ هذه الأسرة كحركةٍ مناوئةٍ للاحتلال العثماني مهدت لظهور المشروع القومي العربي فيما بعد.

ولد الأمير مصطفى الشهابي عام 1893 في مدينة حاصبيا، ولما بلغ السابعة من عمره انتسب للمدرسة الابتدائية، ثم انتقل للمدرسة الكاثوليكية في بلده. وبين عامي "1903 ـ 1905م" انتقل عمل والده كموظف في الدائرة المالية في سوريا إلى مدينة بعلبك، ومنها إلى زحلة، واستقر أخيراً في دمشق، حيث انتسب للمدرسة البطريركية الكاثوليكية. وفي عام 1907م سافر مع شقيقه الكبير عارف إلى الأستانة حيث التحق بمدرسة إعدادية فرنسية وبدأ دراسته فيها ثم عاد إلى دمشق فمكث عامًا في الثانوية السلطانية، وتبرع بعض الأثرياء بإرساله إلى فرنسا، فالتحق بمدرسة "نمرينيون" الزراعية وتخرج فيها مهندسًا زراعيًا عام 1914م. وفي هذا العام نشبت الحرب العالمية الأولى، فصار من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني. وعين عام 1916م قائدًا لسريتين زراعيتين في مرج ابن عامر في فلسطين. وعند انتهاء الحرب تنقل في عدة خدمات زراعية واقتصادية، ثم عين في زمن الانتداب الفرنسي وزيرًا للمعارف عام 1926م وفي عام 1937 عي محافظاً لمدينة حلب عام 1939 و في عام 1943 ـ 1945م محافظاً لمدينة اللاذقية، وقد أنشأ فيها دارين للكتب. وفي عام 1949م كان أحد أعضاء الوفد السوري المفاوض في باريس.

وفي عام 1926 وبالتزامن مع تدرجه في المناصب السياسية انتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية، وفي عام 1954 انتخب عضواً عاملاً ثم نائباً لرئيس المجمع عام 1956وفي عام 1959 انتخب

رئيساً للمجمع ثم جدد انتخابه عام 1963، وبقي رئيساً للمجمع حتى وفاته في دمشق عام 1968م. وقد كان الأمير من أنشط أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق. وكان نشاطه يتجلى بتأليف الكتب ونشر الأبحاث العلمية وإلقاء المحاضرات. وقد أحصيت البحوث التي قام بنشرها في مجلة هذا المجمع فتجاوز عددها الخمسين بحثاً. كما ويصنف من أبرز الأخصائيين في مجال العلوم الزراعية في العالم العربي في النصف الأول من هذا القرن، خدم المكتبة العربية بعدد كبير من الأبحاث والدراسات. وله في مجال التأليف باع طويلة، فقد ألف " معجم الألفاظ الزراعية؛ أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية، المصطلحات العلمية في اللغة العربية، الاستعمار، القومية العربية، معجم الألفاظ الحراجية، المعجم العسكري، له بحوث و دراسات كثيرة في وقد نشرت أبحاثه في المقتطف والهلال ومجلة المجمع العلمي بدمشق التي قلما يخلو عدد من أعدادها من بحث له في القضايا الزراعية المختلفة.

لم يقف الأمير عند الكتابة والتوجيه بل ساهم في الحقل العام خلال عمله في الوظائف الرسمية المختلفة فقام بأعمال جليلة مختلفة منها: توزيع أملاكً الدولة على الفلاحين لإيجاد الملكيات الصغيرة، كذلك شيد دار الكتب الوطنية في حلب، ومثلها في اللاذقية. وإضافة إلى ذلك عمل في خدمة بعض القضايا القومية فكان عضواً في جمعية العربية الفتاة وجمعية العهد.

هذا وقد نال الأمير عدةَ أوسمة منها الوشاح الأكبر مع الرصيعة لوسام النيل في مصر، وهو يعد بحق من كبار العلماء والمفكرين في البلاد العربية في زمنه، كما كان من الداعين لاستقلال البلاد العربية ووحدتها.

قال عنه الشاعر "خليل مطران" عند إعادة طباعة المعجم الزراعي:

يا أميراً أهدى إلى لغة الضاد كنوزاً من علمه وأبياته
ذلك المعجم الزراعي قد كان رجاء حققته في أوانه
عمل لا يكاد يقضيه إلا مجمع بالكثير من أعوانه

توفي في دمشق عام 1968 عن عمر يناهز السبعين عامًا بعد حياةً حافلة بنشاط دؤوب في خدمة القضايا العلمية والسياسية والثقافية. و خدمة اللغة العربية، التي كان الأمير علماً من أعلامها، و التي أخلص لها لدرجة أنه أوصى أن ينقش على قبره البيت التالي (وقد نقش):

أم اللغات قضيت العمر أخدمها
فهي الشفيعة في غفران زلاتي

تطور القوانين الانتخابية في الفترة ما بين الاستقلال عام 1946 وانقلاب الثامن من آذار 1963

لقد اعتمد قانون الانتخاب السوري في تطوره على القانون الانتخابي الذي صيغ في عهد الانتداب أساسا. ونلاحظ أن المواطن السوري ابتدأ بعد الاستقلال مباشرة بخوض نضال تدريجي من أجل استكمال حقوقه السياسية والاقتصادية، وعاش صحوة وعي مجتمعي لصون هذه الحقوق واستكمالها ستظل منبع حنين وإعجاب، وهذا ما يفسر لنا السرعة اللافتة، والتطور المهم لقانون الانتخاب السوري في هذه الفترة رغم ما تخللها من أحداث قطعت المسيرة السياسية الديمقراطية فيها. وبالرغم من أن هذا القانون لم يستكمل ملامحه المأمولة بسبب انقطاع الحياة السياسية البرلمانية نهائيا عقب الثامن من آذار 1963، إلا أننا نلاحظ أن هذا القانون كان يشهد قفزات مهمة للأمام عقب فشل كل انقلاب عسكري بما يعبر بوضوح عن الصراع المحتدم بين قوى الحرية والديمقراطية وبين نزعة الاستبداد وقواها.

انتخابات 1947

في أواخر عام 1946 أسقطت احتجاجات المواطنين ومظاهراتهم المرسوم التشريعي 50 (الذي ضيق على حرية الكلمة، والتجمع وأناط بوزير الداخلية الكثير من الحقوق لتحديد الحريات العامة دون الرجوع إلى المجلس النيابي)، مما أدى إلى إجراء انتخابات 1947 بلا سيف قانوني يحد من حرية المواطنين ضمن جو من الحرية النسبية(رغم استمرار النفوذ القوي للزعامات التقليدية القديمة المتغلغل في أدوات السلطة التنفيذية على أرض الواقع)، ومهد الطريق لتطوير القانون الانتخابي خطوة إلى الأمام، فكان التعديل الأول له، والذي حدد إجراء انتخابات 1947على درجة واحدة، خلافا لما عملت عليه فرنسا خلال عهد الانتداب.

استفتاء 1949

الذي جرى في عهد ديكتاتورية حسني الزعيم التي استمرت لعدة أشهر، فكانت نتيجته منذ ذلك الوقت 99، 53٪ !!!! و كان فيه الزعيم مرشح الرئاسة الوحيد! وتم في في ظل إجراءات سوف تصبح شائعة في كل العهود الديكتاتورية التي ستشهدها سوريا فيما بعد، فمن تعطيل المجلس، وحل الأحزاب، وإغلاق الصحف، وإخضاع الموظفين لحلف يمين يمنعهم من الانتماء السياسي، إلى الاستفتاء أو البدعة المحببة لكل الدكتاتوريات ومرشحها الوحيد، وصولا إلى نسبة ال99٪.

انتخابات 1949

التي أعقبت عودة الحياة السياسية البرلمانية بعد انتهاء ديكتاتورية الزعيم، و التي شهدت التطور المهم الثاني في قانون الانتخاب السوري عندما تقدمت اللجنة الخاصة التي شكلت من أجل وضع قانون الانتخاب الجديد، بالمطالب الآتية: (بعد كثير من الجدل المجتمعي).

1. إعطاء المرأة حق الانتخاب، ولقد قبلت الحكومة المؤقتة ذلك وأقرته شرط أن تكون المرأة الناخبة حاملة للشهادة الابتدائية، فكانت سوريا من أوائل الدول التي منحت المرأة هذا الحق، حتى أنها سبقت عددا من الدول الأوربية المتقدمة في ذلك.
2. تخفيض حق الانتخاب من عمر ال20 إلى ال18 ولقد أقر هذا الاقتراح كما هو.
3. إلغاء الطائفية جزئيا بإلغاء المقاعد المذهبية.
4. أن يكون المرشح حاصلا على الشهادة الابتدائية، لكن الحكومة أضافت على هذا الطلب جملة (أو ما يعادلها)، بما عطل الفائدة الفعلية لهذا الاقتراح.
5. تم التمثيل على أساس النفوس خلافا للقانون السابق الذي كان التمثيل فيه يتم على أساس الناخبين.
6. إلغاء الكراسي الاستثنائية، وتقليص المقاعد العشائرية من تسعة إلى ستة.
7. خلو القانون من الأحكام الاستثنائية خلافا للقانون القديم.

في دكتاتورية الشيشكلي التي استمرت حوالي العامين، تم نوعان من الانتخابات عام 1953، في ظل التضييق، ثم منع الأحزاب الكامل ماعدا الحزب الحاكم ومن دار في فلكه، وإغلاق الصحف، و مصادرة الرأي الآخر، والاعتقال، ومنع الطلاب من ممارسة النشاط السياسي تحت طائلة "الطرد المؤبد والسجن.. "، والمدرسين والموظفين تحت طائلة الفصل من العمل، ولقد تم فعلا فصل العديد منهم لهذا السبب. كانت الانتخابات الأولى على دستور نظام رئاسي استحدثه الشيشكلي، وسيطر بواسطته على كل السلطات الأخرى، وفيه انتُخب رئيسا بنسبه تفوق ال90٪، ومن المفيد هنا استرجاع المقطع التالي من بيان جبهة المعارضة التي تشكلت من كل الطيف السياسي السوري آنذاك في مواجهة الشيشكلي تعليقا على هذا الدستور، جاء فيها "أيها الشعب إن دساتير الأمم هي ثمرة جهدها ونضالها وسجل حريتها... والدساتير الحرة يكون ميلادها في جو حر طليق، وأما التي تدبر في ظلام الدواوين وفي جو خانق من الحكم البوليسي والإرهاب فلن تكون إلا سجل الرق وسفر العبودية "، ثم تلتها انتخابات نيابيه كانت نتيجتها فوز الحزب الحاكم الذي شكله الشيشكلي بأغلبية المقاعد في جو من المقاطعة الشعبية.

لقد احتوى قانون الانتخاب على ماده تمنع الاجتماعات الانتخابية دون إذن مسبق، وكانت هذه المادة استكمالا للسيطرة على النشاط السياسي الشعبي، و على الرغم من أن القانون اعتمد الجداول الانتخابية ولم يخرج بمجمله عما أقرته معظم القوانين السابقة، لا بل إنه سمح للمرأة بحق الترشيح، وألغى مقاعد العشائر، لكن النتائج لم تخرج عما اعتدناه من الأنظمة الديكتاتورية، لأن الانتخابات الحرة لا تحتاج لقانون انتخابات فقط، بل تحتاج لأن تجري في أجواء بعيدة عن القمع، وفي جو من حرية الكلمة والرأي، وممارسة الحياة السياسية بما يؤدي لمشاركه شعبيه حقيقية تمنح المجلس المنتخب مصداقيته التمثيلية.

انتخابات 1954

1. في قانون الانتخاب لعام 1954 الذي أعقب الإطاحة بانقلاب الشيشكلي، والمعركة التي خاضتها القوى الديمقراطية من أجل حرية الصحف والأحزاب وحرية الرأي والتي تكللت بالنجاح، ومهدت لتشكيل حكومة حيادية برئاسة سعيد الغزي للإشراف على الانتخابات النيابية، تم تطور مهم، حيث أقرت الغرفة السرية التي سمحت للناخب أن يكون بمنأى عن أعين السلطة التنفيذية، ومثلت وللمرة الأولى

البرلمان السوري 1954

في تاريخ قوانين الانتخابات السورية، ترجمة عملية للمادة التي وجدت فيها كلها منذ عهد الانتداب، والتي تنص على سرية الانتخاب، ولكن دون طريقة لتنفيذها. ولقد أدى هذا التطور الهام في القانون الانتخابي إلى إقبال شعبي انتخابي كبير شهدته انتخابات ذلك العام، انعكس على المجلس النيابي بتغير طرأ على تركيبته بشكل واضح.

2. إقرار حق المرأة بالترشح للمجلس النيابي على أن تكون حائزه على الشهادة الابتدائية.

في الانتخابات التكميلية للأربع مقاعد الشاغرة عام 1957 في دمشق وحمص والسويداء، احتدمت المعركة الانتخابية وكانت مؤشرا مهما عن شكل المجلس القادم الذي لم يشهد النور بسبب تغير النظام السياسي في سوريا خلال الوحدة. ولقد عُدل القانون الانتخابي قبل هذه الدورة التكميلية فأصبح المرشحون يصنفون حسب عدد الأصوات، بحيث يُعتبر فائزا من حاز على أكثر من غيره من الأصوات. بينما نص القانون سابقا على ألا يقل عدد الأصوات التي حصل عليها الفائز عن 40٪ من أصوات المقترعين، وعندما لا يكتمل عدد المقاعد المخصصة، تعاد الدورة الانتخابية بين المرشحين الذين نالوا أكثر من 10٪ من أصوات المقترعين، ويُعتبر فائزا من نال أكثر من غيره من الأصوات.

انتخابات 1961

بعد ذلك لم يشهد قانون الانتخاب تطورا مهما. وتزامن ذلك مع تعب و خبو في جذوة الصحوة الديمقراطية المجتمعية التي أطفأها اختلال وضبابية المشهد لدى المواطن السوري. فحالة الطوارئ التي قيدت الحريات، والحكم الفردي الاستبدادي أثناء الوحدة تزامن_ لظروف لا مجال لبحثها هنا _ مع تحولات اقتصادية، شكل جزءا منها انجازات هامه لشرائح اجتماعيه كبيرة في نسيج المجتمع السوري، ومحاولة العودة عن هذه التحولات كلها، بمجلس تم انتخابه في ظل استمرار قانون الطوارئ، وخلال شهرين فقط بعد الانفصال لظروف لا مجال لذكرها أيضا، أفقدتا الديمقراطية بريقها و إجماعها المجتمعي. شهد قانون الانتخاب لعام 1961بعض التراجع فلقد سمح للسلطة التنفيذية بالتدخل في الدوائر الانتخابية، وتغيرا طفيفا في شروط الترشيح، و العودة لتعيين سبعة مقاعد عشائرية.

عندما بدأت سوريا بعودتها للتوازن من أجل انطلاقة ديمقراطية حقيقية مثلها إلغاء حالة الطوارئ، وتحديد موعد انتخابات جديدة في الشهر السابع من عام 1963، وتثبيت وتأكيد الحرص على ما أنجزته سوريا من مكاسب اقتصادية وديمقراطية منذ استقلالها والربط بينهما، عبرت عنها بأروع ما يكون كلمة المرحوم خالد العظم، رئيس وزراء الحكومة الائتلافية آنذاك، في بيانه الوزاري، والتي نورد جزءا منها لأهميتها "لقد انتهت التجارب الطويلة التي مرت بها سوريا، وكان بعضها شديد القسوة، إلى اقتناع أبنائها أن كل قتل للحريات السياسية على حساب انجاز الإصلاحات الاجتماعية أولا إنما هو قتل لإنسانية الإنسان، والإنسان أعز ما في الوجود، كما اقتنعت أكثرية أبنائها في الوقت نفسه أنه ليس من حرية صحيحة لأصحاب البطون الجائعة و الأجساد المريضة. ولهذا فإن سوريا العربية اليوم ترفع الراية الثالثة، راية التلازم الذي لا انفصام له بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية. وتنادي أن الإنسان العربي بحاجة إلى الحرية وإلى الخبز وإلى الكرامة معا وأن كل تضييق لهذه الحاجات المتلازمة الثلاث أو تفريق بينها إنما هو قتل عمد لها جميعا... فبقدر حرصنا على الاستقرار والثقة وإطلاق حرية تشكيل الأحزاب السياسية والإعداد لانتخابات نيابية حرة وتنفيذ مشاريع الوطن الإنمائية حرصنا على تنفيذ الإصلاح الزراعي وأسرعنا في تمليك الأراضي للفلاحين وأعددنا ما يلزم للتعويض على من شملهم قانون تحديد الملكية الزراعية وحافظنا على مكتسبات العمال الخ..... " هنا برأيي كان المقتل للديمقراطية السورية ولسوريا، وهو أن تعود من جديد إلى تلمس هذا الطريق الذي أشارت إليه الكلمة بالراية الثالثة، وإلى حمل لوائه بوضوح، لذلك جاء انقلاب الثامن من آذار وما تبعه ليقطع نهائيا، وبعنف قل نظيره، أية إمكانية لذلك.

المراجع

- تاريخ الأقطار العربية الحديث، فلاديمير لوتسكي، ترجمة:عفيفة البستاني، (موسكو 1971).
- تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، ستيفن هامسلي لونغريغ، ، ط1، (بيروت 1978).
- موقف فرنسا وألمانيا وايطاليا من الوحدة العربية 1919-1945، علي محافظة، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت 1985).
- الصراع على سوريا (دراسة للسياسة العربية بعد الحرب 1945-1958)، بارتيك سيل، ترجمة: سمير عبده، محمود فلاحة، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، (دمشق 1996).
- مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث 1920-1958، حسن الحكيم، ط1، دار الكتاب الجديد، (بيروت 1965).

رباب البوطي

في مصياف يدفن الورد تحت التراب ويرتفع الشوك
على سلّم السماء.. وكلاب المأفون تجوب الليل
وتنهش من عطر الورد
وتغلق ساحات الفجر كي لا يحتفل النور بحثمان الشهداء..
في مصياف كان الشاب يحمل الشمس على وجهه..
يُطّل بتاج من نور فتحيا به الحياة..
غار البارود نظير الموت من وجهٍ يحمل ضوء الكون كلّه..
أردى الشمس برصاصة وليل..
قد يستطيع الغيم حجب الشمس..
لكن الصبح صبح والنور أبقى
إلى روح الشهيد.. إسماعيل الشيخ حيدر

عمرو كوكش

على حاجز ما.. في سوريا، نظر إلى هويته.. أعاد النظر فيها.. ماذا يفعل هنا، ابن تلك المنطقة المشتعلة.. ترك الهوية.. نظر إليه للحظة و أراد أن يقول شيئا ما.. لم يترك له فرصة.. ذلك الغريب.. أشار إلى الصليب المعلق بسلسلة طويلة في رقبته.. مع ابتسامة، لم تشعرني إلا بالألم..
في سوريا قد لا يكون هناك اليوم قتل على هويّة ما.. و قد يكون.. و لكن بالتأكيد.. هناك أشخاص ما يعتقلون.. "على الهويّة"..
في سوريا اليوم.. الواقع أقسى مما أتكلم..

نينار حسن

إسماعيل.. لم يشعر احد من رفاقك يوم تشييع نور زهرا أن عليهم توديعك
مجرم قاتلك يا إسماعيل.. ومجرم قاتلنا
وثورتك تبكيك.. قلبي مع مصياف

لطيف حداد

من أهم مميزات النظام انه ما زال يدهشنا حتى الآن ويجعلنا نردد عبارتنا الساذجة: "معقول يعمل هيك، معقول يفوت على الجامعة ويقتل الطلاب؟"
يمكن نحنا المشكلة

قاسم بلال

لو اقتحمت قوات الأمن أي كرخانة أو ماخور في أي مكان في العالم لاستنكرت ذلك جميع الأحزاب اليسارية وطالبت بحماية حقوق العاهرات والقوادين.
إنها جامعة أيها الأنذال أين صراخكم؟

محمود محمود

ما في أسهل من أنو الواحد يتعلم يعمل عبوّة ناسفة، ما بدها كثير عبقرية القصة، العبقرية أنو الواحد يربط وردة بقنينة مي ويقدمها للي عميقتله.
ما كانوا قتلوا غيّاث مطر لو ما خافوا من عقله.

شام داود

يترجلون تباعاً
على شفاههم ترتسم سوريا
وبقايا ابتسامة
حضورهم مؤجل.. حبهم مؤجل.. تاريخهم مؤجل
حتى الحرية

علي ديوب

مالت الكفة لصالح الثورة. و بات يسيراً على ذوي الميول الدينية أن يصرّحوا بان غاية الثورة هي الدولة الدينية، بلا مواربة.
كما بات سهلاً- بل مرغوباً- لدى من يهوى التسلق، و اللحاق بالركب، أن يعلن توبة مسبوقة بكل فنون الاستغفار و الإكبار للثورة و للثوار!

مصطفى العيسى

فقط في سوريا يعتقل الرجل بتهمة والد شهيد مداهمة منزل الشهيد زهير مشعان و اعتقال والده الذي يبلغ من العمر ٦٠ سنة

خولة دنيا

كم مرة قلتها: يا ريتك يا نور بقيت افتراضياً ولم أتعرف عليك.. يا ريتك يا ماري بقيت افتراضية ولم أتعرف عليك.. يا ريتك يا عمر.. يا ريتك يا لينا.. يا ريت يا ميادة يا ريت يا هنادي.. يا ريت يا كل رفاقي المعتقلين والمنفيين..
هل سيخفف ذلك من وجع الروح؟
أن تسعد بمعرفة رفيق افتراضي
وتتلو عليه آيات حزنك عند الفراق؟

فضيل نوفل

الفضاء ضيق.. لا يتسع حتى للأغاني
رائحة الموت تعبق بالمكان ليهرب عطر الياسمين خلف أسوار المدينة التي استبدلت سياجها المزروع أحلاما وقصص من العشق الملون إلى سياج من السواد تغطيه وجوه هؤلاء القتلة الذين اقتحموا مستقبل سوريا ليتركوه جثثا على طرقات المدينة الجامعية في حلب.
هذا الصباح غابت فيروز عن فجر أولادنا، أولادكم جميعاً وحضرت شبيحة الأسد لتمجد خالقها وتهتف البشاعة كلها (شبيحة للأبد لعيونك يا أسد)
صباح الخير يا وطن.

حسان عباس

أسكن في حي مشروع دمّر من عشرين سنة لم أرَ خلالها هذا الكمّ الكبير من طيور الوروار التي تملأ الفضاء بزغردتها وتزخرفه بألوانها الزرقاء والخضراء وأجنحتها الشفافة..
هل جئت يا طير الوروار ناقلا لنا بشارة، أم لترى ما بحالنا صار (بالإذن من فيروز).

إياد عماشة

سوريا لن تكون يوماً بلدا تملكه طائفة أو عائلة أو فئة..
سوريا لكل السوريين، لكل السوريين الحق في هذا البلد.

روزا ياسين حسن

أن نعتاد القتل والجثث المكدّسة.. هذا ما يريده النظام السوري.
أن تصبح مشاهد الذلّ أمراً طبيعياً، وكذا مظاهر العسكرة التي تملأ المدن والساحات!!
أن تغدو البنايات المهدمة، والأطفال والنساء تبكي على أطلالها، مشهداً معتاداً نلمحه ونحن نمارس أعمالنا اليومية!!
حين نتحوّل إلى آلات تتلقى كل هذه الجرائم، جرائمه، التي تدمّي إنسانيتنا، بحيادية، ستكون الخطة قد نجحت!!

علا رمضان

للموت شكل واحد.. أن كنت مؤيداً أو معارضاً. صامتاً أم ناشطا.. حيادياً أم فاعلا.. جنديا منشقا أم نظاميا ستبكيك أمك نفس البكاء فللموت شكل واحد.. وألم الموت واحد..

آية الأتاسي

حمزة الخطيب.. هذا الصغير حينما غادر هذه الأرض، نسي جزء صغير من جسده..
تركه لنا.. لنتذكر، أن الصغار لا يجوز أن يموتوا بأجساد و أحلام مقطعة
عضو حمزة المقطوع هو كرامتنا المسلوبة و حريتنا المهدورة..
حمزة لن يعود و لن يكبر و لن ينجب صغاراً، وحده حلمه قد يعيش فينا
لأجل حمزة و هاجر و ثامر و ألاف من الوجوه الصغيرة الجميلة
سيكتمل الحلم و يصبح شقفة سما و كمشة حرية

إياد حياتلة

الحريّة للمعتقلين جميعاً
في كلّ سجون الوطن العربيّ جميعاً
الحريّة للحريّة
في كلّ أراضي الوطن العربيّ جميعاً

لينا ملاح

بما أنه صارت حيطان البلد معرض صور والعواميد مستباحة لمرشحي مجلس الشعب ونحنا مثالينا غايبين بقترح نزين شوارعنا بصورهم.. الشهيد منهم والمعتقل

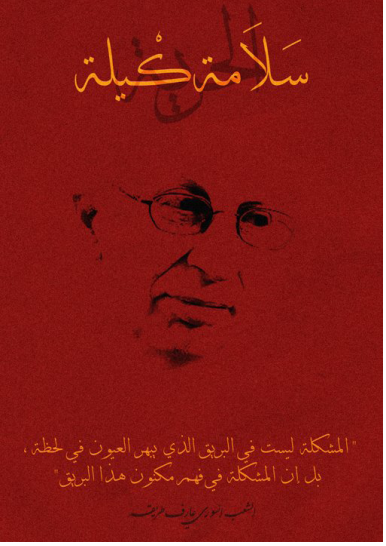

مطلق وضع

لنتخيل الوضع التالي: مدينة سورية ما ـ درعا، حماة، حمص، إدلب ـ أية مدينة من المدن التي يحاصرها الجيش ـ الذي أضحى غير سوري على الإطلاق ـ وهو في حالة اشتباك معنا كمخربين ما يساوي قصف بالمدفعية والصواريخ والرشاشات المتوسطة والخفيفة وتقنيص من محترفين إيرانيين أو غير إيرانيين لا يهم، ما يساوي أيضاً بيوت تتهدم على رؤوس أصحابها، طلقات طائشة باتجاه أطفال لا شأن لهم بكل ما يجري، والمطلوب إيقاف العنف منا كمخربين ومن النظام حامي الحمى، ما الذي يخسره النظام السوري إذا سحب دباباته وقناصيه وشبيحته وكافة أرذاله، وأبتعد عن المدينة كيلو متراً واحداً وليسمح للجان دولية مشتركة هو يختار نصف أعضائها، ولا يهم إن كانوا إيرانيين أو روس أو.. ونختار نحن النصف من شرفاء العالم للتحقق من الأوضاع، وتقديمنا وتقديم هذا النظام إلى المحاكم الإنسانية؟! وإجراء استفتاء أمام هذه اللجان عن من يريدون بقاء هذا النظام وعن من لا يريدون، وأنذاك سيعرف العالم من الإرهابي حقا.. هذا ليس حلاً عبقرياً إنه حل حسابي بسيط، ولو أن هذا العالم يريد حل المشكلة حقا وتجريم المجرم في هذه القضية، لو أن العالم يرغب حقا برؤية تجربتنا الخاصة الديمقراطية لأجبر النظام على هكذا حل بالمنطق الأقل من حسابي.. أه نسيت لا أحد حقا يريد شرقا متوسطا ديمقراطيا لأن ذلك العالم يستمرئ العيش في الماضي.
أومن أنه ستكون لنا تجربتنا الريادية باتجاه المستقبل، أومن بأن هذا مصيرنا والعالم.. وأومن أكثر ما أومن به الآن: بنا ونحن نواجه عالماً بعريينا الجميل لنعلمه معنى الشجاعة.

طلال نصر الدين

| بشاهد العالم العائلات السورية وهي تنزح وتهرب من الموت أو وهي تسحب من تحت الأنقاض، هل لك أن تقدمي فكرة عن الوضع الإنساني والإغاثي في سوريا اليوم؟

| | خلال الأشهر الأخيرة، وبعد أن قرر النظام التخلص من عاصمة الثورة (كما أصبح يطلق على حمص)، استخدم سياسة التخويف والقتل والقصف العشوائي، أقرب تشبيه له هو (المدن المحروقة) حيث يتم القصف لأيام طويلة، بعدها الاقتحام من قبل الشبيحة ليترك هذا الاقتحام حالة صدمة لدى السكان، فهم يستخدمون أبشع الطرق والوسائل من اغتصاب وذبح وتروبع وقتل)، تأتي بعدها مرحلة دخول الجيش حيث يتم امتصاص حالة النقمة لتقع على رؤوس أفراد الجيش، وبعدها يتم إدخال رجال الأجهزة الأمنية، لينتهوا بالاعتقالات ونهب البيوت وتدمير ما تبقى من الممتلكات.
هذه السياسة أدت إلى حالة نزوح هائلة تجاوزت مئات الآلاف من حمص وحماه وإدلب، قوامها النساء والأطفال أساساً بسبب خوف الرجال من الاعتقال والقتل...
لقد تم استبعاب النازحين بشكل رائع في المدن والأرياف الأخرى، حيث استطاع الأهالي الاعتماد على إمكانياتهم الذاتية في إيواء العائلات وتقديم ما يمكن تأمينه من احتياجات. غير أن استمرار الوضع وازدياد أعداد النازحين خلق مشكلة لا يمكن حلها بالعمل الأهلي لوحده، وذلك في ظل غياب الدولة عن القيام بأي جهد يمكن أن يخفف عن الأهالي، وحتى في ظل غياب المنظمات التابعة لجهات دولية (مثل الهلال الأحمر)، ومنع المؤسسات والمنظمات الدولية من الدخول لتأمين وتمويل احتياجات السكان.
كثيرة هي العائلات التي قدمت لا تملك سوى ما ترتديه من ملابس، حيث تم تأمين منازل مجانية لهم، وتأمين الملابس وحليب الأطفال والاحتياجات الخاصة بشكل لم نصدق حدوثه في سوريا، وهي البلد الذي يفتقد للمجتمع المدني ومنظماته الفاعلة، فكأنه ولد من جديد وتأسس وأخذ دوره.
علماً أن العمل الإغاثي والإنساني لم يتم تحييده من الملاحقة الأمنية، حيث دفع الناشطون أثماناً لقيامهم بدورهم الإغاثي هذا، من مثل الاعتقال، والقتل، ومصادرة المستودعات ... الخ.
كذلك العائلات النازحة كانت مليئة بالخوف والرعب من احتمالات الاعتقال والترحيل من جديد.

| عرفت الثورة السورية أسماء نساء وسيدات كثيرات، كيف تنظرين إلى مشاركة المرأة في هذه الثورة؟ وكيف تقييمين هذا الدور؟

| | إن كانت الثورة مؤنثة فالثورة السورية أنثى... بدا هذا واضحاً ومتجلياً منذ اليوم الأول للثورة من خلال مشاركة النساء بكل الأشكال وبكل أطيافهن ومن كل فئات المجتمع.
وإن كان دخول السلاح في الفترة الأخيرة، أبعد النساء قليلاً عن الساحة غير أن هذا لم يعني تحييدهن. حيث لعبت النساء كل الأدوار الممكنة: التظاهر - الاعتقال - الاستشهاد - العمل الإغاثي - الفكري - ... الخ.
المرأة ضامن للثورة في استمرارها بالسلمية كل هذا الوقت، كما أن المرأة دفعت ضريبة كبيرة لمشاركتها ووقوفها لجانب الثورة، حيث لوحظ العدد الكبير للشهيدات.
كما تم استغلالهن جنسياً من خلال الاغتصاب، كي يؤثروا من خلال هذا الأمر على مسار الثورة ولتحييد النساء منها لما لهذا الأمر من حساسية خاصة.
غير أن هذا لم يوقف النساء عن المشاركة والاستمرار في المشاركة، ولقد لعبن دوراً مهماً في العمل الإغاثي والتواصل مع عائلات النازحين، وتأمين احتياجاتهن، كما لعبن دوراً في المظاهرات والاعتصامات السلمية.
وظهرت الكثير من الأسماء الفاعلة في الثورة، وخلقن تشكيلات خاصة لدعم الثورة... كما برزن في العمل السياسي والتشكيلات السياسية التي ولدت خلال الثورة، وإن كانت هذه التشكيلات ذكورية في معظمها إلا أنها لم تستطع تجاهل مشاركة النساء الهامة في الثورة، ولا الدور الذي لعبته النساء فيها.

| يظهر بعض المثقفين والنشطاء تخوفاً على مستقبل حقوق المرأة في سوريا خاصة إذا تقدمت التيارات الإسلامية والدينية في الساحة السياسية، كيف تنظرين إلى هذا الموضوع؟

| | حتى الآن لا تخوفات لدي، وإن كنا لا نستطيع التنبؤ بالمستقبل. لا خوف لأن المعركة مازالت مستمرة، ويبدو طويلة الأمد، كما أن التحالفات التي تم تشكيلها للثورة، تضم قطاعات واسعة من المعارضة، الدينية منها والعلمانية. ولابد من الإقرار بأي نتائج تأتي فيما يلي من أيام، خاصة أن معركة بناء الدولة طويلة وتنمية المجتمع وبالتالي وضع المرأة في إطار القانون، يحتاج لصراع طويل قد يمتد لسنوات.
إنجازنا الحالي سيكون بإسقاط النظام، أما ما يلي ذلك من تطورات فهي تحتاج لسنوات طويلة بين تيارات كما بين المرأة وحقوقها والقانون والمجتمع.

السؤال والجواب: من حوار مع الكاتبة والناشطة السياسية خولة دنيا | حوار عمر الأسعد

صادق جلال العظم: نقد الفكر الديني

■ ياسر مرزوق

صادق جلال العظم: فيلسوف ومفكر سوريّ ولد في دمشق عام 1934. تخرّج بدرجة امتياز من قسم الفلسفة في الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1957 ليحصل بعدها على الدكتوراه من جامعة "ييل" في الولايات المتحدة الأمريكيّة باختصاص الفلسفة المعاصرة حيث قدّم أطروحته حول الفيلسوف الفرنسي "هنري ببرغسون". شغل عدّة مناصب، من أهمها أستاذ للفلسفة والفكر العربي الحديث والمعاصر في جامعة نيويورك والجامعة الأمريكية في بيروت التي سيُفصل منها لاحقاً بعد الضجة الكبيرة التي أثارها صدور كتابه نقد الفكر الديني ثم ليغادر بيروت التي سُجن فيها لمدة بسيطة على خلفية هذا الكتاب للتدريس في الجامعة الأردنيّة قبل أن يعود إلى دمشق ليعمل أستاذاً في جامعتها.

ترأس صادق جلال العظم تحرير مجلة الدراسات العربية الصادرة في بيروت ثم شغل منصب رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب بدمشق بين عامي "1993-1998". بعد تقاعده تنقل العظم بين جامعات عدّة في العالم حيث عمل أستاذاً في جامعتي برنستون وهارفارد في أميركا، وفي جامعات هامبورغ وهومبولت وأولدنبورغ في ألمانيا، وفي جامعة توهوكو في اليابان وفي جامعة أنتويرب في بلجيكا، وهو عضو في أكاديمية العلوم والآداب الأوروبية ومن أهم المدافعين عن حقوق الإنسان في العالم العربي. حاز العظم على عدّة جوائز دوليّة مثل جائزة ليوبولد لوكاش للتفوق العلمي سنة 2004 والتي تمنحها جامعة توبينغن في ألمانيا وجائزة إيرازموس الشهيرة في هولندا.

في العام 1969 نشر الدكتور صادق جلال العظم كتابه الشهير "نقد الفكر الديني" الذي أثار وما يزال عاصفة كبرى من النقد المؤيد أو المعارض في العالم العربي والإسلامي. وتعرض كاتب الكتاب وناشره إلى المحاكمة والملاحقات القانونية في بيروت، بحجة إثارة النعرات الطائفية والمذهبية والعنصرية، أو الحض على النزاع بين مختلف طوائف الأمة أو تحقير الأديان، بالرغم من أن الكتاب كما جاء في حيثيات الحكم الصادر بحق العظم يضم مقالات ما هي إلا "أبحاث علمية فلسفية تتضمن نقداً علمياً فلسفياً".

وكتابنا اليوم هو حالةٌ قل نظيرها في المنتج الثقافي العربي، فنادراً ما قام الفكر العربي الحديث بالتصدي الصريح للبنى الفكرية، وللإيديولوجيا الغيبية السائدة في مجتمعاتنا، لأن اقتحام هذا المجال يمس أكثر المناطق حساسيةً في العالم العربي "المسألة الدينية"، وهو تعبيرٌ صارخ عن مرحلة عاشها الفكر العربي بعد هزيمة العرب في حرب العام 1967 وقد تجلت هذه النكسة بشكل واضح في نقد الذات، إن لم نقل في جلد الذات، وسواء اتفقنا مع العظم أو اختلفنا معه، فهو أراد البحث بشكل علمي وفلسفي عن الأسس التي ترتكز عليها هذه الذات وخصوصاً في بعدها الديني، ومحاكمة هذه الأسس على أساس أن هذا العمل لابد منه من أجل تأسيس ذات علمية، إلا أنه بالرغم من حرصه على المنهج العلمي إلا أنه لم يستطع أن يتجرد من ذاكرته العربية الإسلامية، فمقاربته لموضوع "إبليس" في الفصل الثاني من الكتاب، هي رجع الصدى لما تناقلته الكثير من المدارس الصوفية الإسلامية والديانات الشرقية القديمة.

يطلق العظم مصطلح الصورة الكونية لعصر ما، للدلالة على جملة آراء ونظريات على درجة واسعة جداً من التعميم والشمول والشيوع يسلم بها العصر تسليماً بديهياً لا شعورياً، حول أصل الإنسان ومصيره وحول الطبيعة والمعرفة والمجتمع والأخلاق والعمل والإنتاج، وبطبيعة الحال ترتبط محتويات الصورة الكونية لعصر ما، بحياة الإنسان في المجتمع وتعكس لحد كبير نوعية العلاقات الاجتماعية القائمة فيه وترتبط ارتباطاً جدلياً بنوعية العلوم السائدة في ذلك العصر، وهدف هذا البحث هو دراسة الصورة الكونية التي صاغها الإنسان الحديث منذ بداية القرن السابع عشر. فقد أدت الثورة العلمية إلى بروز صورة كونية جديدة تبلورت وتكاملت عناصرها على يد نيوتن، حيث اقتلعت المادية الساكنة (المادية الميكانيكية) من حيث المبدأ والأساس، الصورة الكونية الدينية السابقة عليها.

في الفصل الأول يحدد العظم ما يقصده بالدين، فهو لا ينظر إليه بوصفه ظاهرة روحية نقية خالصة وإنما من حيث هو "قوة هائلة تدخل في صميم حياتنا وتؤثر في جوهر بنياننا الفكري والنفسي وتحدد طرق تفكيرنا"، فالدين هو "مجموعة من المعتقدات والتشريعات والشعائر والطقوس والمؤسسات التي تحيط بحياة الإنسان". هذا ويرى العظم أن الظاهرة الدينية في حوض المتوسط هي في انحسار دائم، ويحاول أن يحدد أسباب هذا التراجع في النقاط التالية:

"حركة النهضة الأوربية، الانقلاب العلمي ابتداءً من "كوبرنيكوس وانتهاءً بنيوتن"، الثورة الصناعية.، صدور كتاب أصل الأنواع لداروين وكتاب رأس المال لماركس، امتداد هذه الحركات الأربعة إلى خارج القارة الأوربية"

يرى العظم أن الموقف الديني القديم في طريقه إلى الانهيار التام لأن هناك تعارض أساسي وجوهري بين الدين والعلم وهناك نزاع واضح بينهما وما " محاولة طمس معالم النزاع بين الدين والعلم ليس إلا محاولة يائسة للدفاع عن الدين، يلجأ إليها كلما اضطر الدين أن يتنازل عن موقع من مواقعه التقليدية".

ثم ينتقل صادق جلال العظم إلى معالجة موضوعه الثاني في كتابة وهو دراسة مأساة إبليس كما يسميها. طبعاً هذه الدراسة لا تدل بأي حال من الأحوال بأن صادق جلال العظم يؤمن بوجود إبليس أو الملائكة أو كل المقولات الدينية إذ يقول:" إن كلامي عن اللّه وإبليس والجن والملائكة والملأ الأعلى لا يلزمني على الإطلاق بالقول بأن هذه الأسماء تشير إلى مسميات حقيقية موجودة ولكنها غير مرئية. " إلا أنه يدرس قصة إبليس بوصفها رمزاً يمكن وضعها في إطار الأسطورة.

بعد أن يعرض العظم عصيان الشيطان للأمر الإلهي ورفضه أن يسجد لآدم، فإنه يعمد إلى التمييز بين أمرين وهما الأمر الإلهي والمشيئة الإلهية، ويرأيه أن إبليس رفض الأمر الإلهي ولكنه خضع بشكل مطلق للمشيئة الإلهية. فهو يرى أن إبليس كان منسجماً مع الإرادة الإلهية وإبليس كان مصراً على التوحيد في أصفى معانيه وأنقى تجلياته. ويقدم إبليس تبريراً منطقياً إذ يقول:" أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين".

وفي النهاية يؤكد العظم أن إبليس هو صنيعة الذات الإلهية. وفي سبيل ذلك ينقل إلينا ما قاله إبليس على لسان الإمام المقدسي:" خلقني كما شاء، وأوجدني كما شاء، واستعملني فيما شاء، وقدر عليّ ما شاء فلم أطق أن أشاء إلا ما شاء، فما تجاوزت ما شاء، ولا فعلت غير ما شاء، ولو شاء لردني إلى ما شاء، وهداني بما شاء ولكنه شاء فكنت كما شاء... فمن يكون على القضاء عوني، ومن يطق من القدر صوني. ولكن كل ما يرضيه مني، رضيت به على رأسي وعيني، يا هذا ما حيلة من ناصيته في قبضة القهر، وقلبه بيد القدر، وأمره راجع إلى حكم القدم، وقد قضي الأمر وجف القلم". لذلك واستناداً إلى ما تقدم، يجب علينا إحداث تغير جوهري في تصورنا لشخصيته ومكانته وأن نرد له اعتباره بصفته ملاكاً" وأخيراً يجب أن نكف عن كيل السباب والشتائم له وأن نعفو عنه ونطلب له الصفح ونوصي الناس به خيراً بعد اعتبرناه، زوراً وبهتاناً، مسؤولاً عن جميع القبائح والنقائص"

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن ما يؤخذ على العظم أنه ربط الظاهرة الدينية بمقولات فلسفية وحتى اعتراضه عليها جاء من منطق فلسفي مع أن الظاهرة الدينية هي ظاهرة معقدة لتعدد جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

الحديقة بين قبلتين

■ علاء الراش
ونبراس شحيد

حفّار القبور

لم يكترثوا لتلك اللافتة المعلّقة على السور الحديديّ، وقد أكلها الصدأ: "تُغلِق الحديقة أبوابها في السابعة والنصف مساءً". لم يكترثوا، فالطريق إلى المقبرة مستحيلة. دخلوا الحديقة ليلاً حيث جُهِّزت الحفرة من دون أن تعرف اسم الوافد الجديد. كان لأبي عمر، حفّار القبور، المتّسع من الوقت الأسبوع الماضي ليحفر مجموعة من القبور "الاحترازيّة"، فالقبر الأبيض لليوم الأسود، يقول ما بقي من سكان الخالدية. ضوءٌ خافتٌ سلطه الرجل على جثة الطفل المتفحّمة، وقد أنزلت بهدوء إلى الحفرة. قرأوا الفاتحة، وابتدأ الرجال بردم الهاوية التي ابتلعت الصغير.

هكذا، تابع عُمَر لعبه في الغرفة الصغيرة وحيداً بعد أن قبّل أخاه للمرّة الأخيرة في الحديقة-المقبرة، وأزيز الرصاص يملأ المكان.

ستعيد سوريا المستقبل النظر في تخطيط المدن، وستكتب على الأسوار الحديد: "لن تُغلِق الحدائق أبوابها أبداً، كي لا يملّ الشهداء صمتَ الوحدة"!

الحدائق المعلّقة

كما حطمت الثورة أصنام السلطة، فكذلك حطمت السلطة حزمةً من المقدسات: الشبّيحة يقتحمون الجوامع ليكتبوا على جدرانها شعاراتٍ لا تُقدّر بشراً أو آلهة، والكنائس قُصفت، وحرمة القبور المنبوشة تقول اللامبالاة بهيبة الموت. نادين الكردية، كتبت على حائط الـ الفايسبوك": "في مرتين متتاليتين، على مقعدين خشبيين متعاقبين، داخل حديقتين مختلفتين، عثرنا على أشلاء جثثٍ في إدلب". لكن... لكن حرمة الحدائق لعشّاق الجسد، كحرمة المعابد لعشاق الروح!!!

لم يبقَ من أشجار الحدائق شيءٌ يذكر، فقد قطّعها ما تبقى من سكّان، لإشعال ما تبقّى من نار، في ما تبقى من شتاء قارس. المحروقات للدبابات والأشجار لمن ينقصه الدفء، والعناكب نسجت بيوتها على حطام "الصوبيا" الفضيّة.

وبعدما صارت الحدائق عارية، لم يبقَ للعشّاق المولع بعضهم ببعض، مكانٌ مستترٌ يتبادلون فيه القبل! صحيحٌ أنْ لم يعد هناك حارسٌ بصفّارة ليفكّ التصاق الشفاه، ولكن العشّاق باتوا يتحاشون عناق الحدائق، كي لا يخلّوا بآداب الموتى!

القبلة المحرّمة

سابقاً، كان المراهقون يصوّرون الحب بسهولة: عاشقان على مقعدٍ أخضر يتبادلان القبل تحت الأغصان الكثيفة حين يخيّم الظلام. لكن الأحوال تبدّلت! كتبت هبة على حائط "الفيس بوك": "حمص حين يُدفن الاطفال في الأماكن التي يحبونها"، لتعقّب قائلة: "ابكتني هذه العبارة، وقتلتني الصورة". لقد بدّل المراهقون من هواياتهم اليوم، فقد تعلّموا تصوير الموت في الحديقة: المصوِّر ميت، لكنّه حيٌّ في الصورة وليس مومياء أو لفافةً قطنيةً مغبشة الملامح! الشهيد صورة أخيرة، وفي الصورة يتمدد على تراب الحديقة، ليحتفل به الحيّ في المقبرة الجديدة، فيجبره أصدقاؤه على التذكر بأن حَياة الطفولة كانت جميلة.

ستكتب سوريا الغد على أبواب الحدائق: "هنا، يُطلب من العاشق تقبيل عشيقته، لكي لا ينسى الموتى رائحة الشفاه!"

القصيدة التي كانت ممنوعة

في يوم ما، في حديقةٍ ما، سيقطف عُمَر وردةً ما، ليقرأ لحبيبته قصيدة عشق ما، كانت ممنوعةً في كتابه المدرسي القديم: "... كانت على السُلّم/ هو إلى جانبها وهي إلى جانبه/... قالت له:

/... هنا نمرض من كل شيء/ من الحرارة، من البرودة/ نتجمد، نختنق/ وليس ثمة هواء/ فإذا توقفت عن تقبيلي/ فيبدو لي أنني سأموت اختناقاً/ عُمرُ كلٍّ منا خمسة عشر عاماً / وعمرنا معا ثلاثون عاماً/ وبهذا لم نعد طفلين/ لنا من العمر ما يكفي لنعمل/ ولنا ما يكفي لنتبادل القبل/ فإن لم نفعل فسنكون قد تأخرنا كثيراً/ حياتنا هي الآن/ قبّلني" (جاك بريفير)

هكذا، ستزهر الحديقة من جديد...

عن موقع سيروريا
2012 / 4 / 22

شهداء سوريا

مجموع الشهداء (10824)

دمشق: 237
ريف دمشق: 990
حمص: 4237
حلب: 338
حماه: 1342
اللاذقية: 216
طرطوس: 26
درعا: 1135
دير الزور: 392
الحسكة: 64
القنيطرة: 14
الرقة: 46
ادلب: 1781
السويداء: 5

733 عدد العسكريين
10091 عدد المدنيين
242 عدد الإناث
442 عدد الأطفال الإناث
679 عدد الأطفال الذكور

المصدر: مركز توثيق الانتهاكات في سوريا 4 / 5 / 2012
http://vdc-sy.org